الأخلاق فى بلاد النهرين*

د/ محمد السيد عبد الحميد**

مقدمة:

امتازت حضارة بلاد النهرين بطابع خاص يتفق وظروف الحياة فيها، وتأثرت ببيئتها الطبيعية تأثراً كبيراً منذ عصورها المبكرة، تلك البيئة التى ساهمت بشكل فعال فى تشكيل أفكارهم وثقافتهم ومعتقداتهم الدينية(1).

وشغل الدين حيزاً كبيراً فى حياة العراقيين القدماء، وقام بدور بارز فى تشكيلهم الحضارى، إلى الحد الذى يمكن معه القول أنه لا يمكن فهم حضارة بلاد النهرين بدون دراسة الدين قبل كل شيء؛ إذ بلغ تغلغله وأثره فى كل ناحية من حضارتها مبلغاً عظيماً جعل جميع معارفها وعلومها وآدابها لا يمكن البحث فيها مستقلة عن الدين، حتى وُسمت - مثل الحضارة المصرية - بأنها حضارة دينية(2).

ومما يُعرف به الدين أنه عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة(3)، أو أنه مجموعة من المعتقدات والممارسات التى تنظم موقف الإنسان وسلوكه تجاه عالم المقدسات "القوى الماورائية أو الكوائن العليا" وتزوده برؤية شمولية للكون وموضع الإنسان فيه(4)، مما

---

* أُلقى هذا البحث فى فعاليات ملتقى الاتحاد العام للأثريين العرب الخامس الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من 19-20 اكتوبر 2002م بجامعة الدول العربية فى الجلسة المسائية تحت مسمى: " الأخلاق فى بلاد النهرين ومصر القديمة دراسة مقارنة ". ولكن نظراً لكبر حجم الموضوع رأيت أن أخصص هذه الدراسة أولاً: عن الأخلاق فى بلاد النهرين ثم أُلحقها بدراسة ثانية: مستقلة عن الأخلاق فى مصر القديمة تعتمد على مقارنة النتائج التى توصلت إليها فى البحث الأول .

** د. محمد السيد عبد الحميد - مدرس التاريخ القديم كلية الآداب – بقنا – جامعة جنوب الوادى

(1) راجع: طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول ، بغداد 1946، ص1؛ إبراهيم رزقانة: حضارات ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى (59)، القاهرة د . ت، ص4، 5؛ عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم(حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى (59)، القاهرة د.ت ، ص 254، 255؛ سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة فى وادى النيل الأدنى (تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني)، القاهرة د . ت ، ص 5 ، 6؛ فؤاد سفر: البيئة الطبيعية القديمة فى العراق، (سومر) المجلد الثلاثون، بغداد 1974، ص 941؛ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق) جـ1، ط3، القاهرة 1981، ص 5 ؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، طـ 2، سينا للنشر، القاهرة 1996م، ص 293.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص1 .

(3) ول ديورانت: قصة الحضارة (نشأة الحضارة . الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الأول والثانى، الطبعة الثانية، القاهرة 2001م، ص98.

(4) فراس السواح: الأسطورة والمعنى(دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية)، دمشق

يعنى أن الدين كان بمثابة المحور الذى تدور عليه مُثل الإنسان وآدابه وسلوكياته واتجاهاته فى حياته الاجتماعية والاقتصادية؛ واستناداً إلى ذلك التعريف وإذا جاز تحليل الدين إلى معتقدات، وعبادات، ونظم وقواعد أخلاقية، ومنظمات ومؤسسات دينية[5]. فإن النظم والقواعد الأخلاقية تعد من أهم مقومات وعناصر الدين، ولا انفصام بينها، وقد ساعد على ذلك أن أنبياء الله(عليهم السلام) قد أكدوا على الأخلاق واعتبروها جزءاً لا يتجزأ من تعاليمهم الدينية[6]. والدين أحد الأسس التى تقوم عليها الأخلاق[7]. أو كما قيل انه لا خلق إلا ما هذبه الدين، ولا دين إلا ما هذبه الخُلُقُ[8]. وهذا يعنى أن الدين يسبغ على الأخلاق لوناً من التقديس؛ لأن ماهو فوق الطبيعة يضيف أهمية يستحيل أن تكتسبها من تلقاء نفسها الأشياء التى نعرفها بالتجربة الحسية[9]. ومن ثم يقودنا هذا إلى الطرح التالى: "هل كانت الأخلاق هى أصل الدين وأساسه ؟".

أولاً:الأخلاق وموضوعها :

تعريف الخلق:

1997، ص 219؛ طه باقر: المرجع السابق، ص1؛ ولمزيد من التفاصيل عن تعريف الدين وماهيته ومصادره راجع: فراس السواح: دين الإنسان(بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى)، دمشق 1994، ص ص 22-29؛ خزعل الماجدى: بخور الآلهة (دراسة فى الطب والسحر والأسطورة والدين)، عمان 1998، ص ص 75-79؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ص 98 وما بعدها.

(5) طه باقر: المرجع السابق، ص 1،2؛ وعن المكونات الأساسية والثانوية للدين راجع: الماجدى : المرجع السابق ، ص79-84.

(6) السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 219.
مثال على ذلك أقوال المصطفى ﷺ **" الدين المعاملة "** و**" إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق "**؛ ولهذا تكررت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى مواضع عده كقوله: **" من أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله، وحُسن الخُلُقُ"**، و**" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً"**، و**" إن العبد ليُدرك بحُسن خُلُقه درجة الصائم القائم"**. وكذلك جاءت فى ذم سوءِ الخُلُقِ أيضاً أحاديث كثيرة (ابن منظور: لسان العرب (خلق)، المجلد الثانى، دار المعارف، القاهرة د . ت، ص 1245). وكذلك أقوال السيد المسيح عليه السلام مثل: **" من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر "**و**" من سخرك ميلاً فأمش معه ميلين "**. وما يقابلها فى تعاليم بوذا وزرا دشت ومانى (راجع: السواح: المرجع السابق ، ص 219) .

(7) أبو حيان التوحيدى: أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، بيروت 1992م، ص 27.
ومن الجدير بالذكر أن التوحيدى قد أرجع أمهات الفضائل ودعائمها إلى ثلاث هى الدين والخلق والعلم، حيث بها يعتدل الحال وينتهى إلى الكمال لأن الدين جماع المراشد والمصالح، والخُلُقُ نظام الخيرات والمنافع، والعلم رباط الجميع؛ ولأن الدين بالعلم يصح، والخُلُقُ بالعلم يطهر والعلم بالعمل يكمل" وهو بذلك يؤكد على أهمية الدين ودوره فى اكتساب الأخلاق، وكذلك أهمية العلم والمعرفة فى تحصيل الفضائل.(المصدر السابق، ص 27)؛ ويدعم ذلك ما قاله "ديورانت"بأن الدين دعامة الأخلاق...المرجع السابق، ص117.

(8) أبو حيان التوحيدى: رسالة فى الصداقة والصديق، تحقيق على متولى صلاح، القاهرة 1972م، ص 58.

(9) ديورانت: المرجع السابق ، ص97.

بداية لابد من وضع تعريف للخلق **ففى اللغة الخُلُقُ والْخُلْقُ**[10]: السجيةُ، الطبع، المروءة، الدين، العادة، وفى التنزيل **"وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم"** والجمع أخلاق[11]، كما يُعرف الخُلُقُ بأنه: " ملكة تصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تفكير ورؤية"[12].

موضوع الأخلاق:

والأخلاق وفقاً لما جاء فى المعجم الفلسفى – رغم صعوبة وضع تعريف محدد لها[13]- هى :" علم السلوك وموضوعه الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقيها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك"[14]. أوهى العلم الذى يبحث فى الأفعال الإنسانية[15].ومما يقال أيضاً عن الأخلاق أنها تعنى تلك القواعد والممارسات التى تنظم موقف الفرد من الآخرين، وسلوك الأفراد تجاه بعضهم بعضاً، وتجاه الجماعة التى ينتمون إليها. ونتيجة للاحتكاك والنزاعات بين الأفراد والجماعات التى خلقتها الحياة المشتركة نشأت القواعد الأخلاقية - من أجل حل تلك المشاكل - التى طرحت نفسها كبديل عملى وناجح لأسلوب القوة والإكراه فى العلاقات الاجتماعية[16].

علم الأخلاق:

أما عن علم الأخلاق فيبحث عن السعادة وفى الطرق الموصلة إليها من خير وفضيلة، كما يبحث فى الشرور والرذائل وكيفية توقيها[17]. أو أنه العلم الذى يشتمل

---

(10) الخُلُقُ الخلِيقةُ أعنى الطبيعة، والْخُلْقُ بضم اللام وسكونها: هو الدينُ والطبعُ والسجيةُ وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهى نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. (ابن منظور : المصدر السابق. ص 1245).

(11) المصدر السابق، ص 1245؛ جبران مسعود: الرائد (خلق)، ج1، ط 5، بيروت 1986.

(12) أبو على الحسن ابن سينا: النجاة فى الحكمة المنطقية والإلهية، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط 1، بيروت1992، ص 157.

(13) وقد أرجع التوحيدى ذلك لأنها" متلابسة ملابساً، ومتداخلة تداخلاً، والشىء لا يتميز عن غيره إلا ببينونة واقعة تظهر للحس اللطيف أو تتضح للعقل الشريف". (الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942م، ص 128) .

(14) عبد المنعم الحفنى: المعجم الفلسفى(مادة أخلاق)، ط 1 ، القاهرة 1990م، ص 23.

(15) التوحيدى:الإمتاع والمؤانسة، ص 152.

(16) السواح: المرجع السابق، ص 219؛ قارن: أ.إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكرى، القاهرة د.ت، ص 177.

(17) أبو على الحسن ابن سينا: المصدر السابق، ص 157.
يتعلق علم الأخلاق بعلم الواجبات وهو مبنى على فكرة الواجب المتقابلة مع فكرة الحق. وهذه الأخلاقيات المضمنة فى نُظمة المجتمع ومعاملاته، تتجلى فى مكارم الأخلاق أو القيم العليا للاجتماع البشرى، القيم التى تُعير الأفعال الاجتماعية وبها تقوم المسالك والتصرفات .
خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الاجتماعية (3)، بيروت 1995م، ص 28.

على الموجودات الكائنة بإرادة وهى الفضائل والرذائل[18]. أى أنه العلم الذى يهتم بدراسة الأفعال الإنسانية والحكم على أفعال الناس ويبين كيفية الحكم على هذا الفعل خيراً كان أم شراً وهو بذلك يسعى لكى يحدد الفضائل والكمالات التى يسعى الإنسان لتحقيقها. وهكذا تتحدد الفضائل والرذائل طبقاً لقواعد عامة أخلاقية لا توجد إلا بوجود الفعل الفاضل. إن الغاية التى يهدف إليها الإنسان فى ممارسته للفعل الأخلاقى هى تحقيق السعادة التى هى الخير على الإطلاق، وهى الخير المطلوب لذاته[19].

ثانياً: علاقة الأخلاق بالديانة فى الشرق الأدنى

وعبر تاريخ ثقافات الشرق الأدنى القديم تلازمت الأخلاق بالديانة تلازماً وثيقاً، يبدو معه وكأنهما وجهان مختلفان لعملة واحدة، ولقد تزامن هذا الارتباط التدريجى بين الأخلاق والدين فى بلدان هذا الإقليم منذ وقت مبكر عندما كانت تتحول من العصر النيوليتى القروى إلى العصر المدنى؛ أعنى التحول من ثقافة المجتمعات القروية الصغيرة إلى ثقافة المدن. مما يدل على قدم العلاقة بينهما[20]. وبمرور الزمن، زادت أواصر هذه العلاقة توطداً حتى بدت الأخلاق والديانات وكأنها من طبيعة واحدة وأصل مشترك[21].

ورغم ما يبدو من الصلة الوطيدة بين الأخلاق والديانة، فهناك من يرى أنهما مفهومان مختلفان تمام الاختلاف من حيث الأصل. ومتمايزان كل التمايز، وأن الأصل فى الأخلاق استقلالها عن الديانة[22]، ومن ثم فليس الدين أساس الخلق، ولكنه عون له، فقد يمكن تصور الأخلاق بغير دين؛ ففى بعض الجماعات الأولى والمتأخرة كانت الأخلاق مستقلة عن الدين[23]. وخير دليل على ذلك المجتمعات- التقليدية- الأفريقية(الزنجية) التى تبدو الأخلاق فيها مستقلة تماماً عن الدين، فهى شأن دنيوى تنظمه الأعراف السائدة دونما مؤيد من قوة قدسية ما، ومن ثم تعتبر الأخلاق شأناً من شئون التنظيم الاجتماعى، لا شأنا من شئون الدين[24]. بل ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك ويرى أن لا صلة للأخلاق بالدين ولكنها موضوعة تحت حمايته[25].

ثالثاً: علاقة الأخلاق بالديانة فى بلاد النهرين

(18) أبو بكر ابن باجه: التعليق على إيساغوجى، تحقيق ماجد فخرى، بيروت 1994م، ص 87.
(19) إبراهيم محمد رشاد: المؤثرات اليونانية فى فكرتى الطبيعة والإنسان،(رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى، 2001م، ص 296-297.
(20) ديورانت: المرجع السابق، ص 117،121؛ السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 219.
(21) المرجع نفسه، ص 219،227.
(22) المرجع نفسه، ص 219.
(23) ديورانت:المرجع السابق ، ص 120،119.
(24) السواح: المرجع السابق ، ص 220.
(25) إرمان : المرجع السابق ، ص 177.

ارتبط النظام الأخلاقى والنظام الدينى للجماعة، فى بلاد النهرين باجتماع السلطة السياسية والسلطة الدينية فى يد الملوك الكهنة الأوائل (ملوك المدن السومرية) الذين شعروا بضرورة ربط المؤيدات الاجتماعية للسلوك الأخلاقى بمؤيدات دينية. فالإله الذى يحافظ على نظام الكون من خلال القوانين الطبيعية، هو نفسه الذى يحافظ على نظام المجتمعات الإنسانية من خلال القوانين الأخلاقية[26]. فقد تصور العراقيون القدماء أن هذا الكون تسيره منذ البدء نواميس إلهية(أو مقدسة) سموها بالسومرية الـ (مى أو مِهMe)[27]- وتقابلها بالأكديه (فرضو) أو(برضو) أو (برصو) [28]- وتدل فى معناها على الوجود، أو القوى الإلهية وتشمل كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوى والسماوى الذى تسيره قوى المعبودات خيراً أو شراً [29].

نماذج لارتباط الأخلاق بالديانة:

رغم أن المفكرين السومريين لم يُخلفوا وراءهم تعاليم مُنظمة واضحة فى قواعد الأخلاق والمبادىء، ولم ينتجوا بحوثاً أصولية فى علم الأخلاق، فإن ما عرف عن علم الأخلاق وعن قوانين السلوك الأدبى عند السومريين تم استخلاصه من بين ثنايا نصوصهم الأدبية الكثيرة والمتنوعة[30]. والواقع أن القطع الأدبية سواء السومرية أو البابلية التى وصلتنا هى فى مضمونها تتعلق بشكل أو بأخر بالدين؛ والكثير منها يدعو إلى تمجيد الآلهة والخوف منها والدعاء لها أو الصلاة والتضحية لها. وفيها أرجعوا الفضل إلى الآلهة فى وجود تلك الصفات والفضائل الأخلاقية، ومن ثم طوروها بعد صعاب كثيرة من تجاربهم الاجتماعية والحضارية. وتتجسد تلك الصفات والفضائل

---

(26) السواح: المرجع السابق ، ص 227.

(27) See: P.Anton Deimel S.I, sumerisches Lexikon, Scripta Pontificii Institutti Biblici I Romae 1947, P.169(889).

يعرف " جاكبسون " الـ (مى) بأنها مجموعة الوظائف المرتبطة بالطقوس والعادات والأعراف . ويفسرها " فان ديك "بأنها الوجود الإلهى فى الهيولى الميتة أو الحية بشكل أزلي، وهى غير مشخصة بجسد، وعن طريقها تتحكم الآلهة بشئون العالم (خزعل الماجدى: الدين المصرى، عمان 1999، ص 287. وراجع أيضاً: د . اذزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، حلب 1987، ص 129؛ توركليد جاكبسون وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط2، بيروت 1980، ص 239 وما بعدها) .

(28) خزعل الماجدى: متون سومر(الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، عمان 1998، ص 258. ويرجح الماجدى أنها تدل على القوانين المفروضة الثابتة للطبيعة، ويذكر أن أسطورة انانا وانكى قد قدمت نقل نواميس الحضارة الإلهية الـ (مى) من أريدو إلى أوروك، والتى كانت تشمل أغلب جوانب الحياة (المرجع السابق، ص 258 وما بعدها؛ ولمزيد من التفاصيل راجع أيضاً: على الشوك: من روائع الشعر السومرى، منشورات الجمل، ألمانيا 1992، ص 31) .

(29) فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص293؛ الماجدى: الدين المصرى، ص 287؛ متون سومر، ص 258؛ وراجع أيضاً: د . اذزارد: المرجع السابق ، ص 128.

(30) ص.ن. كريمر: من ألواح سومر. ترجمة طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخرى، بغداد والقاهرة 1956م، ص 190.

الأخلاقية فى أنهم-السومريين- كانوا محبين للخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة. كما كانوا يكرهون الكذب والزور و الشر وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصى والضلال. وتدل شواهد عديدة على أن الملوك السومريين فى الكثير من أعمالهم مثل **ما جاء فى: (أعمال "اورو- كاجينا" أو " أورو- أنمكينا" حاكم مدينة " لجش"، وما ذُكر فى مقدمة شريعة "اور- نامو" مؤسس سلالة " أور" الثالثة، وكذلك ما ورد فى شريعة "لبت-عشتار" ملك مدينة "أيسن"**، وكذلك **ما جاء فى شريعة "بلا لاما" ملك مدينة أشنونا)** كانوا يتباهون دائما بأنهم أقاموا القانون والنظام فى البلاد، وأعادوا العدل والحرية إلى الناس، وحموا الضعيف من القوى، والفقير من الغنى، وبأنهم عملوا على حماية الأرملة واليتيم، ومحوا الشر والظلم والعنف وتتمثل فى قضائهم على المظالم السائدة، وتنظيم شئون الأوزان والمكاييل[31].

كما مُجدت جميع الآلهة السومرية العظام فى التراتيل السومرية باعتبارها محبة للخير والعدل وللصدق والاستقامة. وقد خصوا بعضها بالإشراف على النظام الأخلاقى بكونه وظيفتهم الأساسية كمعبود الشمس" أوتو"، ومعبودة مدينة لجش "نانشه" باعتبارها راعية الصدق والعدل والرحمة وحامية القيم الخلقية[32]. وخير دليل على ذلك ما جاء فى ترتيلة سومرية، التى عثر عليها فى مدينة " نفر" وهى مؤلفة من (250) سطراً، وتتضمن أهم وأوضح أقوال فى السلوك والأخلاق التى وردت فى الوثائق السومرية الأخرى. إنها تصف المعبودة "نانشه". والدور المهم الذى تقوم به فى دائرة السلوك الأخلاقى عند البشرعلى النحو التالى :

- **" إنها هى التى تعرف اليتيم وتعرف الأرملة ،**
- **" إنها هى التى تعرف اضطهاد الإنسان للإنسان، وهى أم اليتيم ،**
- **" المعبودة نانشه التى تعنى بالأرملة ،**
- **" التى تنشد العدالة (؟) لأفقر الفقراء (؟).**
- **" إن الملكة تأوى اللائذين بحضنها وحماها ،**
- **" وهى التى تهيىء المأوى للضُعفاء** [33].

وفى نص آخر، صورت المعبودة "نانشه" وهى تقوم بحساب البشر من الأشرار ممن وقع عليهم غضبها، وقد وصفوا على الوجه التالى:

---

(31) كريمر: من ألواح سومر، ص 192،193؛ وراجع أيضاً: رمضان عبده على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته،جـ1 (إيران والعراق)، طـ2، القاهرة 2002م، ص 222؛ خزعل الماجدى: الدين السومرى، سلسلة التراث الروحى للإنسان/ 2، طـ1، عمان 1998م، ص 169، 170، 171؛ برهان الدين دلو: حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادى- الاجتماعى- الثقافى والسياسى)، بيروت 1989م، ص 328؛ وراجع أيضاً فيما بعد من هذا البحث: ص 50-52.

(32) كريمر: المرجع السابق، ص 192،193؛ هارى ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل، الموصل 1979م، ص 486.

(33) كريمر: المرجع السابق، ص ص 193، 194-195.

- **" من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له ... (؟)**
- **" من تخطى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود ،**
- **" من نظر نظرة رضا إلى مواطن الشر .... ،**
- **" من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير ،**
- **" من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير ،**
- **" من أكل ما ليس له ولم يقل " أكلته " .**
- **" ومن شرب ما ليس له ولم يقل " شربته " .... ،**
- **" من قال لأكلن ما حرم " ،**
- **" ومن قال لأشربن ما حرم "** [34].

وقد وصفت " نانشه " بما تحلت به من ضمير اجتماعى على الوجه التالى :

- **" تواسى اليتيم ولا تهمل أرمله ،**
- **" تُعد الموضع الذى تهلك فيه الأقوياء الطغاة ،**
- **" وتسلم الأقوياء إلى الضعفاء .... ،**
- **" إن نانشه تنفذ إلى قلوب الناس "** [35].

وعلى الرغم من أن ثقافة بلاد الرافدين لا تعد الأقدم فى تقديم نموذج عن قدم ارتباط الأخلاق بالدين كالثقافة المصرية، فإنه يمكن تلمس منظومة أخلاقية دينية من خلال بعض نصوص الأدعية والصلوات، يرجح أنها لم تكن مخصصة لعرض القواعد الأخلاقية، وجاء ذكرها عرضا في سياق الضراعة للإله والثناء عليه[36]. ومن بين هذه النصوص المختارة:

- **ترتيلة مرفوعة للإله شمش**
- **دعاء إلى المعبودة عشتار**
- **الصلاة [الدعاء] إلى جميع المعبودات**
- **سأثني على رب الحكمة**
- **الحوارية البابلية أو حوار العدالة الإلهية**
- **حوارية السيد والعبد**

وتعد الترتيلة المرفوعة للمعبود "شمش"[37] إله الشمس والقاضى الأعظم ومصدر الشرائع والعدل أهم تلك النصوص، ويتألف من(160) سطرا، وقد عثر على هذا النص

---

(34) المرجع نفسه، ص 195.

(35) المرجع نفسه، ص 196.

(36) السواح: الأسطورة والمعنى ، ص233.

(37) الإله الشمس (شمش) وهو يقابل (أوتو) عند السومريين، لعب دوراً كبيراً فى العهد الأكدى؛ لذلك اتخذه الأكديين إلهاً قومياً لهم، وفى العهد البابلى القديم ظل محافظاً على مكانته المقدسة، وقد استبدله البابليون بالإله(مردوخ)، وكانت (زيبارأو سيبار) فى شمال بلاد النهرين و(لارسا) فى جنوبها من أهم أماكن عبادته(راجع: طه باقر: ديانة البابليين، ص17-18؛ خزعل الماجدى: إنجيل بابل، عمان 1998م، ص 49،50 ؛ متون سومر، عمان 1998، ص 118؛ السواح: المرجع السابق، ص 233؛ ولمزيد من التفاصيل راجع: ر.لابات: المعتقدات الدينية فى بلاد وادى الرافدين(مختارات من النصوص البابلية). ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر، وزارة

فـى مكتبـة "أشـور بانيبـال" [38]، وهـو مـن النصـوص الطويلـة وعلـى جانـب كبيـر مـن الإفاضـة والتفصيل؛ لذلك لا يمكن عرضـه بشكل كامل. وفيمـا يلـى ترجمـة لهذا النص وعرض لسطوره ذات الصلة بالأخلاق[39]. ففى **العمود الأول** من النص نقرأ :

- **..... يا منير الظلمات (ايا مبدد الظلام)**
- **وقاهر (ويا من يمحو) الشر... في الأسفل وفي الأعلى(فى السماوات الأرض).**
- **يا من يرمي بأشعته كشبكة فوق البلاد والأصقاع(الأرض والجبال والبحار)،**
- **ويراقب من علاليه شعوب الأرض قاطبة (وأنت تمسك بأطراف الأرض المعلقة من وسط السماء وتحرس كل ما خلقه "ايا" فأنت راعيهم) .**
- **أنت راعي العالم من أسفل (الأسفل)، وحارس(حامى) العالم من أعلى(الأعلى).**
- **لظهورك يبتهج كل بني البشر ،**
- **وتتوق لنورك، يا الهي شمش ، الدنيا بأجمعها .**

أما العمود الثانى من هذا النص فنقرأ :

- **يا من تحاسب بالحق الصالح وتحاسب الشرير**
- **تنشر شبكتك الواسعة لتمسك بالرجل (إن شبكتك منشورة لتمسك بمن تشتهى)**
- **الذي يشته امرأة صديقه**
- **تكسر شكيمة المجرم وتقطع دابره**
- **وتذهب بمال من يتلاعب بالحاسبات**
- **تودي عدالتك بالقاضي الفاسد إلى السجن**
- **وتنزل عقابك بالمرتشي الذي يحرف سير (يضلل طريق) العدالة**
- **أما المستقيم الذي يرفض الرشوة وينتصر للضعيف**
- **يفرح به فؤادك فتثري حياته وتزيد في أيامه**
- **القاضي النزيه الذي يصدر الأحكام بالحق**
- **تجعل مكانته سامية وتسكنه مساكن الأمراء**
- **ما الذي يجنيه المرابي الذي يثمر ماله بربح فاحش(يشتط فى فائضه) ؟**

التعليم العالى والبحث العلمى. جامعة بغداد. كلية الآداب قسم الآثار. بغداد 1988م، ص 321.

(38) راجع: السواح: المرجع السابق ، ص 233؛ فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم(2: ترانيم وأدعية سومرية – أكدية)، سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، ، بغداد 1964م، ص 79.

يرجح أن هذا النص مقتبس من نص أكادى أقدم منه، ومما يؤسف له أن هذه اللوحة دمر منها سبع عشرة سطرا عند الموضع الذي يعرض فيه النص إلى الوصايا الأخلاقية، كما أن هناك ثمانية اسطر تالفة فى نهاية الجزء الثانى من النص المتعلق بالوصايا الأخلاقية في هذه الترتيلة التي يرعاها الإله " شمش" (السواح: المرجع السابق، ص 234،233، 235) .

(39) عن النص والترجمة راجع :

W.Lambert,Op.Cit,P. 126-138; F.J.Stephens, "Hymn to Shamsh", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press ,1950. P.321; "Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press , 1950, pp. 387 – 389 .

وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص 79-86 ؛ السواح: المرجع السابق، ص234-235؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 49-52

يكذب من اجل ربح آن ولكنه يخسر ثروة بأكملها
ما الذي يجنيه من يغش في الكيل والوزن ؟
من يغير عن عمد في أحجار الميزان وينقص منها ؟
إنه يكذب من اجل ربح آني ولكنه يخسر ثروة بأكملها
أما من يقرض بفائض عادل فإنه يبعث على السرور فى (شمش) ويكسب المال الوفير
ومن قسط الكيل والوزن فإنه يرضى (شمش) ويحصل على المال والذرية الدائمة.
بعدالة (شمش) وقوة (مردوخ) عاش الآلهة العظام ... بسلام [40] **.. .. ..**

وهذا النص من النصوص الدينية ذات الصلة بالأخلاق، ويلاحظ خلوه من الواجبات الطقسية تقريباً، كما يتسع مفهوم الأخلاق فى هذا النص لتجريم الاعتداء على العروض، والممتلك، والفساد، والرشوة، والغش، والربا، ويرى فيهما انحراف عن الخلق السليم. الأمر الذى يثير سخط الإله (شمش) ويصب جام غضبه على مقترفى هذه الأفعال الشائنة، ومن ناحية أخرى نرى فرحة الإله وسروره ورضاه من العبد الذى يخشاه، ويقرض القرض الحسن، ويستخدم الميزان بالصدق. بل ويكافئه على ذلك بالمال الوفير والذكرى الخالدة بالذرية الصالحة والدائمة والعيش بسلام .

أما نص **" دعاء إلى المعبودة عشتار "**[41]. فيصف فيه المعذب (المتوسل) مأساته المريرة، ويصلى ويقدم القرابين لمعبودته لتكشف عنه هذه الغمة ولكى يعود إلى طبيعته وسيرته الأولى. وهذا النص ترافقه رقية طقوسية، وفيه تخاطب عشتار بصفتها معبودة الحرب والشجاعة، وباعتبارها أعظم معبودة بين المعبودات. وقد عثر على هذا النص فى معبد "ايساجيلا" أو "إيساك إيلا" [42] فى بابل، ويرجع تاريخ كتابته إلى العصر البابلى الحديث[43]. ويستهل هذا النص بالصلاة لعشتار وتمجيدها على النحو التالى:

---

(40) راجع: فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص 79-86؛ السواح: المرجع السابق، ص234-235؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 49-50 .

(41) عن النص والترجمة راجع:
F.J.Stephens,"Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press, 1950, pp. 383 – 385.
وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص ص69 – 74؛ " ترنيمة إلى عشتار" مجلة الأقلام جـ1 ، بغداد 1964م، ص 113-115؛ برهان الدين دلو: المرجع السابق، ص 329-330.

(42) وهو اسم معبد المعبود "مردوخ" فى بابل ويعنى البيت العالى الرأس، وقد عرف منذ العصر البابلى القديم حتى العصر الهللينى (س.موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، تعريب السيد يعقوب بكر ومراجعة محمد القصاص، بيروت 1986، ص 263؛ فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم، سومر، المجلد الحادى والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1965م، ص 46 حاشية(5)؛ توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة، جـ1، طـ1 (الشرق الأدنى القديم) "بلاد النهرين/ بلاد الشام"، دمشق 1985، ص 265.) .

(43) فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص69 – 70 .

- **أننى أصلى لك ، يا سيدة السيدات ، ومعبودة المعبودات.**
- **ايا عشتار ، ملكة كل الشعوب ، التى تقود البشرية باستقامة ،**
- **ايا مالكة كل القوة الإلهية ، التى تلبس تاج السلطان ،**
- **أيتها السيدة ، ممجدة عظمتك . فوق كل الآلهة هى مبجلة .**

ثم يطلب منها الرحمة والمغفرة على الوجه التالى :

- **أنت تلحظين المظلوم والمُساء إليه ؛ أنت تجعليهم يفلحون يومياً .**
- **رحماك ! أيا " سيدة " السماء والأرض ، راعية الناس المنهوكين .**
- **رحماك ! أيا " سيدة " " أى – أنا " المقدسة المستودع الطاهر .**
- **رحماك ! أيتها " السيدة " ؛ قدماك غير متعبتين ؛ ركبتاك سريعتان .**

ثم يصف المتوسل مأساته المريرة، ويطلب منها أن ترأف به، وأن تنظر إليه بعين الرحمة والشفقة حتى ينصلح حاله، وأن تبطل كل ما يكيده ويدبره له أعداؤه، من أعمال سحرية سببت له آلام وأوجاع عديدة بالإضافة إلى تشتيت عائلته على الوجه التالى:

- **أينما تنظرين ، الميت يحيى ؛ والذى هو مريض ينهض .**
- **المخطىء الذى يرى وجهك يستقيم .**
- **لقد بكيت لك ، متوجعاً ومنهكاً ومحزوناً ، كخادم لك .**
- **انظرى إلى أيا " سيدتى " ؛ اقبلى صلواتى .**
- **انظرى إلى بإخلاص واسمعى توسلى .**
- **عدى بعفوى ، ولتلطف روحك .**
- **رأفة ! بجسمى التعيس المملوء بالارتباك والانزعاج .**
- **رأفة ! بقلبى العليل المملوء بالدموع والعذاب .**
- **رأفة ! بأحشائى الشقية(البائسة ، التعيسة) (المملؤة) بالارتباك والإنزعاج .**
- **رأفة ! ببيتى المكروب الذى ينتحب (؟) بمرارة (؟) .**
- **رأفة ! بمشاعرى المشبعة بالدموع والعذاب .....**
- **بصفاتك المشرقة انظرى إلى بإخلاص.**
- **اطردى تعويذات جسمى الشرير : ودعينى أرى نورك المشع [44].**
- **حتى متى ، يا سيدتى ، سيبقى أعدائى ينظرون إلى ،....**
- **لقد عمل لى شخص مسحاً طويلاً .**
- **اننى أتماوج هنا وهناك كمياه الفيضان هيجتها ريح شريرة .**
- **قلبى طائر ؛ انه يخفق باستمرار كطير السماء .**
- **اننى أنوح كحمامة ليلاً ونهاراً**
- **اننى مصروع ، ولذلك انتحب بمرارة.**
- **بالـ " آه " وبـ " الأسى " روحى مضناة .**

(44) فيصل الوائلى: سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1964م، ص72.

- **أنا – ماذا فعلت أنا ، أيا الهى وإلهتى ؟**
- **كأننى لا أخشى إلهى وإلهتى أننى أُعامل ؛**
- **بينما هُيىء لى مرض وصداع وخسارة وتحطيم ؛**
- **وكذلك رُكز على رعب وازدراء وسخط غزير .**
- **وغضب ، وحنق ، وتحقير الآلهة والبشر .**
- **ستكون نهايتى الموت والإزعاج .**
- **على بيتى ، وعلى بوابتى ، وعلى حقولى خيم سكون .**
- **أما إلهى ، فان وجهه متجه نحو هيكل (رجل) آخر .**
- **[ولكنـ] نى قد أصغيت لك " سيدتى " ؛ انتباهى قد وجه إليك** [45].

ثم يقوم المتوسل بالصلاة وتقديم القرابين لإلهته ويطلب منا العفو والغفران عما ارتكبه من أفعال مشينة ومخجلة حيث نقرأ:

- **لك قد صليت ؛ اغفرى خطيئتى .**
- **اغفرى ذنبى ، واجحافى ، وأفعالى المخجلة ، واعتدائى .**
- **تجاوزى عن أفعالى المخجلة ؛ تقبلى صلاتى ؛**
- **فكى قيودى ؛ حققى انعتاقى ؛**
- **سددى خطاى باستقامة ؛ مبتهجاً كبطل دعينى أدخل الطرقات مع الأحياء...**
- **ودعى عائلتى المشتتة تجتمع ؛**
- **انظرى إلى بإخلاص واقبلى توسلى .**
- **حتى متى ، أيا " سيدتى " ستبقين غاضبة فيتحول عنى وجهك ؟**
- **حتى متى ، أيا " سيدتى " ستبقين ساخطة فتبقى روحك هائجة ؟....**
- **ودعى صلواتى وتوسلاتى تصل إليك .**
- **لتحل رحمتك العظيمة على**[46] .

وإذا كان الخوف من الآلهة يعتبر من أولى الواجبات الدينية فى المعتقد الدينى الرافدى- لأن سخطها مجلب للويلات والدمار- فإن الحصول على رضاها أقصى ما يتوق إليه العبد؛ لذا وضعت رسوم وشعائر دينية كثيرة يقوم بها العبد المذنب[47] من بينها أدعية وصلوات كانت بمثابة ثانى الواجبات الدينية[48]. أشهرها ذلك النص الذى عثر عليه – أيضاً - فى مكتبة الملك "أشور بانيبال"، وعُرفَ باسم **"صلاة إلى جميع**

(45) المرجع نفسه، ص 72-73.
(46) المرجع نفسه، ص73-74.
(47) طه باقر: سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول، بغداد 1946، ص6؛ طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، سومر، المجلد الثانى، الجزء الثانى، بغداد 1946، ص180؛ نبيلة محمد عبد الحليم: معالم العصر التاريخى فى العراق القديم ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1997م، ص 188.
(48) المرجع نفسه، ص 188.

المعبودات" أو **"صلاة لكل إلـه"**[49] المعروف منها وغير المعروف؛ أى أنها لم تكن موجهة إلى إله معين ولكن إلى جميع الآلهة بصورة عامة. وفيها يعترف الكاتب بجميع الخطايا التى اقترفها فى حياته المعروفة منها وغير المعروفة، وتنتهى بطلبه منها غفران خطاياه التي ارتكبها دون قصد وعن غير علم بها ومعرفة[50]. وفيما يلى ترجمة لهذا النص وعرض لأهم سطوره ذات الصلة بالموضوع[51]. ويبدأ النص بطلب العبد من آلهته أن ترضى وتعفوا عنه، وأن تخلصه من عذابه نتيجة آثامه وخطاياه التى ارتكبها دون قصد. على الوجه التالى:

- **عسى أن يهدأ هياج قلب ربى نحوى (ليهدأ قلب إلهي الغاضب على) ،**
- **وليرضي عني المعبود الذي لا اعرفه ،**
- **ولترض عني المعبودة التي لا اعرفها .**
- **ليرض عني من أعرف من الآلهة ومن لا أعرف .**
- **ليرض عني من اعرف من الإلهات ومن لا أعرف .**
- **بجهل مني أكلت طعاما حرمه إلهى ،**
- **بجهل مني وطئت مكانا حرمته إلهتى .**
- **فيا ربي إن آثامي (تجاوزاتى) عديدة وخطاياي (ذنوبى) عظيمة ،**
- **ويا ربتي إن آثامي (تجاوزاتى) عديدة وخطاياي (ذنوبى) عظيمة .**
- **إني جاهل حقا بما اقترفته من ذنوب ،**
- **إني جاهل حقا بما ارتكبته من خطايا .**

ثم يصور لنا النص الحالة السيئة التى بدا عليها هذا الرجل، وخاصة عندما غضبت الآلهة عليه وقضت بعقابه بالمرض والعذاب، وكذلك عندما لم يجد من يغيثه

---

(49) كانت الصلاة لدى البابليين بمثابة رقية تخرج الشيطان أو العفريت الذى أصاب الإنسان نتيجة ارتكابه الخطايا والذنوب. ولمزيد من التفاصيل راجع : ديورانت: المرجع السابق، ص226.

(50) فيصل الوائلى: سومر، المجلد الحادى والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1965م، ص 50؛ السواح: المرجع السابق، ص235.

(51) عن النص والترجمة راجع :

F. J. Stephens, Op.Cit, pp.391-392;Cf.P.Paul Dhorme, La Religion Assyrio-Babylonienne,Paris 1910,P.237.

وعن الترجمة العربية لهذا النص - المكتوب بالسومرية مصحوبة بترجمة أكادية - راجع: السواح: المرجع السابق، ص 235-236. وقد قام بحذف بعض الأسطر المكررة منها؛ فيصل الوائلى: المرجع السابق، ص 50-52؛ وقد قام بعض الباحثين بترجمة فقرات من هذا النص عن ذلك راجع: طه باقر: سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول، بغداد 1946، ص7؛ وكذلك راجع : ل . ديلابورت : بلاد مابين النهرين ، ترجمة محرم كمال ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الألف كتاب الثانى (283)، ط 2، القاهرة 1997م، ص 169 ؛ ول ديورانت: المرجع السابق، ص224-226،225.

ويعينه فى كربته فهو يبكي، ومغلوب على أمره، ومعتل، وعينه لا تبصر، ولا يسمع عويله أحدُ؛ عندئذ يتجه إلى آلهته بالدعاء بأن ترحمه وتأخذ بيده على الوجه التالى:

- **ولكن المعبود نظر إلى بقلب غاضب ،**
- **ومعبودتى في غضبها تسببت في مرضي .**
- **لقد نال مني (اضطهدنى) المعبود الذي أعرفه و المعبود الذي لا أعرفه ،**
- **وقضت بعذابي المعبودة التي أعرفها والمعبودة التي لا أعرفها .**
- **أطلبُ العون وما من أحد يمد إلى اليد (لم يأخذ أحدٌ بيدى) ،**
- **ابكي وما من أحد يقدم لى سندا ،**
- **أندب ولا يسمع عويلي أحدا .**
- **مغلوب على أمري (قلق ومقهور) ، معتل ، وعيني لا تبصر ،**
- **فيا إلهي ، أيها الإله الرحيم ، هذي ضراعتي (صلاتى)؛ فإلى انظر .**

وقبل أن يطلب من آلهته بأن تغفر له ذنوبه وخطاياه، وتعفو عنه، وتحول سيئاته إلى حسنات. يثير كاتب النص مسألة فلسفية وجودية كبرى، وهى أنه مهما بلغت معرفة الإنسان ومهما أوتى من عقل وإدراك فإنه سيظل جاهلاً بالإرادة الإلهية، ولا يستطيع معرفة ما تخبئه له الآلهة من مقدرات[52]وفى ذلك يقول:

- **الإنسان مخلوق قاصر التفكير(أبكم) ؛ لا يعرف شيئا ؛**
- **لا يدري متي يجني حسنة ولا متي يصنع إثما .**
- **فلا تطرح يا ربي عبدك هذا أرضا (لا تكسر بخاطر عبدك) ؛**
- **ها هو يغرق في ماء المستنقع (الوحل)؛ فخذ بيده .**
- **وحول سيئاتى إلى حسنات ؛**
- **دع الآثام التي ارتكبتها تذروها الذاريات(تحملها الرياح بعيداً) ؛**
- **واذهب بإعمالي السيئة ، انتزعها عني كما تنزع العباءات(الثياب) .**
- **ارفعى خطيئاتى وسأغنى بحمدك.**

والنص على درجة كبيرة من الأهمية لكونه يلقى الضوء على جانب مهم من الأخلاق فى المجتمع الرافدى القديم، وهو عبارة عن صلاة لم توجه إلى إله معين ولكن إلى جميع الآلهة بصورة عامة، يدلى بها صاحبها بمجموعة اعترافات، وغرضها هو طلب الخلاص من عذاب يعتقد الكاتب بأنه ينتج عن انتهاك القانون الإلهى[53]. الأمر الذى أغضب الآلهة، وقضت بعقابه، وهذا العقاب- أي المكروه الذى يصيب الإنسان- كان على ذنب ما أو إساءة ارتكبها بحق أحد من الناس أو الآلهة، كان دنيوياً أى فى الحياة الدنيا؛ إذ لم تكن هناك حياة أخرى بعد الموت فى المعتقد الدينى الرافدى، ومن ثم فإن مفهوم الثواب والعقاب في الحياة الآخرة غير موجود في التصورات الدينية الرافدية أو

(52) قارن: فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص 304.
(53) فيصل الوائلى: المرجع السابق، ص 50

لم يقولوا بعقاب أو ثواب، أى ليس عندهم جنة ونار أو نعيم وجحيم، أو على الأقل لم تكن لديهم فكرة ورأى واضحان فى الحياة الأخرى أو العالم الأخر[54].

ويبرر كاتب النص ما ارتكبه من خطايا وآثام إلى حقيقة كونها لم تقترف عمداً، وأنه حتى لا يعرف الإله الذى ربما أساء إليه، وأكثر من ذلك، يطرح مسألة فلسفية فى غاية الأهمية وهى معرفة مشيئة الآلهة، وفى هذا يدعى بأن العنصر البشرى بأجمعه جاهل بطبيعته للإرادة الإلهية؛ ولذلك فإنه يقترف الذنب باستمرار، وعلى هذا فلا ينبغى أن يفرد للعقاب. والواقع بأن طلب الكاتب من الآلهة بأن تغفر له ذنوبه وخطاياه، وتعفو عنه، وتحول سيئاته إلى حسنات، يذكرنا بما يقوم به المسلمون عند الدعاء للميت بأن يغفر الله له ذنوبه، وبأن يتجاوز الله عن سيئاته إن كان مسيئا. كما تشير خاتمة النص إلى أنه كان جزءاً من سلسلة من الصلوات يبدأ لوحها الثانى بالسطر **" بكلمته قد أمر برفاهيتى "**؛ مما يجعل هذا النص من النماذج الدالة على قدم اتصال الأخلاق بالدين. كما أن القارئ لهذا النص يلمس مدى الحساسية الخلقية لدى الإنسان العراقى القديم بل لدى إنسان الشرق القديم[55].

وإذا كان تخلى الإله الحامى هو أول ما يحل بالعبد المذنب، نتيجة انحرافه عن الخلق السوى والسلوك الرضى، فإن استرجاع رضائه-وهو أقصى ما يرنو إليه العبد- كان أمر صعب المنال، ويستوجب على العبد أن يعمل أشياء كثيرة منها الصلاة إلى الآلهة، والصبر على البلاء والمحن، وأن لا يسب آلهته أو يلعنها، وهذه الغاية النبيلة نجدها مجسدة خير تجسيد فى تلك القصيدة البابلية التى تعد من أشهر قطع أدب الحكمة البابلي[56] والمعروفة باسمها البابلى (لود- لول بيل- نميقى **Ludlul Bel Nemeqi**)"

(54) طه باقر: المرجع السابق، ص7-9 .
كانت الحياة الدنيا فى الفكر الدينى العراقى القديم مسرح حياة الآلهة والإنسان، وفى المقابل كان العالم الأسفل يعتبر عالم الأبدية بالنسبة لأرواح الموتى التى تقيم فيه إلى الأبد، أما عن الثواب والعقاب وأنواعهما كثيرة فكانا قاصرين كلية على الحياة الدنيا وليس بعد الموت، على خلاف المفهوم المصرى عن الحياة الآخرة الذى ينطوى على محاكمة بعد الموت والجنة والنار(الماجدى: إنجيل بابل، ص69،141-142)؛ ولمزيد من التفاصيل عن الثواب والعقاب فى الفكر الرافدى راجع: ل . ديلابورت: المرجع السابق، ص 169- 170؛ نائل حنون: عقائد ما بعد الموت، بغداد 1986، ص169-230؛ نبيلة محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص 190.
(55) راجع: فيصل الوائلى: المرجع السابق، ص 50؛ السواح: المرجع السابق، ص234-235.
(56) طه باقر: المرجع السابق، ص6؛ جاكبسون: المرجع السابق؛ ص 352؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 148. عرفت هذه النصوص باسم أدب الحكمة، والذى أرجع " ساكز" تاريخه

والتى تعنى: "سأثني على- أولأمجدن- رب الحكمة"[57] **أو"لامتدحن رب الحكمة"**[58]. ورب الحكمة هنا هو "مردوخ"، وتتألف من حوالي 450 سطراً[59] موزعة على أربعة رقم (ألواح)، وقد سمى هذا العمل بـ(أيوب البابلى)[60]، أو قصيدة التقى المعذب[61]. ويرجح أنها دونت فى الفترة الكاسية[62].

وكاتب هذا النص يدعى" شوبشى مشرى شكان **Shubshi-Meshre-Shakkan**"، ويرجح أنه كان نبيلاً أو أحد كبار رجال البلاط الملكى والدولة، وكان رجلاً ثرياً وعادلا ومقربا من الآلهة والملك وكانت سيرته حسنة، هجرته آلهته، فهاجمته المصائب الواحدة

المدون إلى الفترة بين عهد "ريم – سن " فى " لارسا" وحكم " امى صدوقا " فى بابل(ساكز: عظمة بابل، ص 484). ولمزيد من التفاصيل عن أدب الحكمة فى العراق القديم راجع :
W.Lambert,Babylonian Wisdom Literature. Oxford 1960.

(57) ساكز:المرجع السابق، ص492؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص253؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 497؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 147. ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع :
W.Lambert,Op.Cit,P.21-27; R. D. Biggs,:"Ludlul Bel Nemeqi","(in: Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press ,1950,P.596.
هناك ترجمة بالعربية لـ عبد الحميد زايد: ضمن سلسلة الوعى الأثرى التابعة للمجلس الأعلى للآثار كتاب (9) ، القاهرة 1987. وهذه الترتيلة تختلف تماماً عن تلك المسماة بـ" تسبيحة حمد لمر دوخ" التى كان الهدف منها هو تكوين حالة نفسية رضية عند الإله "مردوخ" عند إعادته إلى معبده بعد الانتهاء من الاحتفال بعيد أكيتو أو رأس السنة. لمزيد من التفاصيل عن هذه الترنيمة راجع: فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم، سومر، المجلد الحادى والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1965م، ص 45 وما بعدها .

(58) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 243 .

(59) المرجع نفسه، ص 243 ؛ وقد ورد عند "ساكز" أنهم (500) سطر(المرجع السابق، ص 492).

(60) المرجع نفسه، ص492. وأيوب البابلى غير أيوب التوراتى الذى ظهر بعد ذلك بفترة طويلة. (الماجدى : المرجع السابق، ص 147، 148). بينما لا يحبذ "ساكز" تسميته بأيوب البابلى (المرجع السابق، ص 492) .

(61) المرجع نفسه، ص492.
وعلى شاكلة قصة هذا التقى المعذب توجد أمثلة كثيرة فى الأدب البابلى ، فعلى أحد الألواح يشكو (بلطا- أرتوا) من أنه كان ملتزماً بأوامر معبوداته، ومع هذا حلت به الكثير من البلايا، ففقد أبويه، وخسر ماله، وحتى القليل الذى بقى معه سرق فى الطريق. ويعلل أصدقائه ذلك بأنه ليس إلا عقاباً له على خطايا خافية عنه ارتكبها فى حق معبوداته أو الناس. أو ربما جزاءً له لطول عهده بالرخاء، وهو ما يثير حنق وغضب المعبودات وحسدها. وأنه إذا ما استمسك بإيمانه ولم يكفر أو يجدف فى معبوداته سينال خير الجزاء، ثم يطلب من معبوداته العون والمدد، فتكون المفاجأة بالعفو والمغفرة. ونجد صدى لمثل هذه الصعاب فى قصيدة تقى آخر هو(تابى-أتول-أنليل) حين يتحدث عن نفسه وما لاقاه من صعاب، وكيف ينتهى به الحال إلى هذا المصير القاسى؟ ويكون جوابه أن لا أحد يعرف ما يخبئه له القدر.(راجع: ديورانت: المرجع السابق، ص257،256).

(62) ساكز: المرجع السابق، ص492؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 296؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 243.

تلو الأخرى، رغم كل تقواه وورعه، وما قدمته يداه من أعمال صالحة، فساءت به الأحوال، وتنكر له الدهر، واشتد عليه غضب وحنق مليكه، وحيكت ضده المؤامرات للإطاحة به من قبل رجال الحاشية لأخذ مكانه، ونُحى من جميع مناصبه. مما أصابه بالحيرة من أمر آلهته، ويجد نفسه فى أسوأ حالة(63). وهكذا وجد هذا الإنسان فى قيمه الأخلاقية مقياساً راح يقيس به أفعال الآلهة متجرئاً بذلك عليهم، وظهر له ذلك التناقض فقد أدرك أن ليس هناك موازاة بين الإرادة الإلهية والأخلاق الإنسانية، ومن ثم كانت المشكلة الكبرى التى حيرته: لماذا تحيق الشرور وتنزل البلية بالرجل التقى الفاضل ؟ ومع ذلك يظل صابراً، وهو شبيه بالنبى الصالح أيوب؛ ولذلك يعتبر هذا النص من أعظم نصوص الحكمة فى العالم القديم، وهو يطرح مسألة عذاب الإنسان وخضوعه للمشيئة الإلهية، على شكل حوار أو مناجاة فردية(64)، وهى نفس الحالة التى كان عليها صاحب النص السابق "دعاء إلى جميع المعبودات"، وهو ما يرجح القول بأن النصين يتشابهان فى دوافع كتابتهما(65). وفيما يلى عرض لأهم سطوره ذات الصلة بالأخلاق وخاصة فى اللوحين الأول والثاني(66). يبدأ اللوح الأول من هذا النص بمقدمة قصيرة فى حث

(63) راجع: رمضان عبده: المرجع السابق، ص 243؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 296،297؛ ساكز: المرجع السابق، ص492؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497.

(64) جاكبسون: المرجع السابق، ص253،252؛ هارى ساكز: المرجع السابق، ص492؛ كريمر: المرجع السابق، ص 208؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 141؛ بخور الآلهة(دراسة فى الطب والأسطورة والدين)، عمان 1998، ص337.
كان موضوع "الإنسان المعذب" الذى تتكالب عليه كل مصائب الدنيا، رغم تقواه وورعه، مجالاً خصباً للكتاب السومريين والبابليين، وأهميته تكمن بارتباطه بمسألة فى غاية الأهمية، ألا وهى مسألة العدالة الإلهية. ورغم أن الآلهة خلقت البشر لخدمتها وعبادتها مقابل الحماية والسعادة فى الحياة، إلا أنها لم تكن قاعدة ثابتة، والدليل على ذلك تعرض بعض الأتقياء والصالحيين من السومريين والبابليين للكثير من المصائب والكوارث، الأمر الذى يدعو إلى التساؤل كيف يمكن أن يصيب المرض والفقر والبؤس الأتقياء بينما غيرهم من الآثمين والأشرار يرفلون بالنعيم؟ (فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 292-293).

(65) الماجدى: إنجيل بابل، ص 141؛ السواح: المرجع السابق، ص236.

(66) عن النص والترجمة راجع :
Lambert,Op.Cit,P.32-62; Pfeiffer. Robert," I will praise the Lord of wisdom", in: Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press, 1950,P.434; R. D.Biggs, "Akkadian Didactic and Wisdom Literature", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament". Princeton University Press , 1950. pp. 596 – 600.
وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: السواح: المرجع السابق، ص234-235؛ وقارن هذه الترجمة بالترجمة التى قام بها الماجدى فى كتابه إنجيل بابل، ص 147 – 154؛ توفيق سليمان: المرجع السابق، ص 264-265؛ وقد قام بعض الباحثين بترجمة مقتطفات من هذه القصيدة راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص253وما بعدها؛ كريمر: من ألواح سومر، ص 210-213؛ ديورانت: المرجع السابق، ص257؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 297-304؛ سومر أسطورة وملحمة، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 2000م، ص 254-256؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص243-244؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497-498.

الإنسان على التزام تمجيد ربه وتعظيمه، وأنه يبغى مرضاته بالتضرع والاستغفار والتوبة، حيث نقرأ :

- **لأمجدن (لامتدحن أو سأثني على) رب الحكمة ، الرب المتفكر المتدبر (العليم) ،**
- **الذي يمسك بالليل ويطلق النهار .**
- **مردوخ اله الحكمة الرب المتفكر المتدبر ،**
- **الذي يكتسح غضبه كطوفان مدمر ،**
- **والذي يتسع قلبه رحمة وصدره مغفرة .**

ثم يخبرنا صاحبه كيف أن معبوداته "مر دوخ وزوجته صربانيت" قد تخلت عنه وأدارت له ظهرها، ثم تخلى عنه معبوده الشخصى الحارس(67)؛ ونتيجة ذلك حلت به ضروباً من الآلام والكوارث- دون سبب ظاهر أو معروف ورغم حياة الفضيلة والبر- وأولها ترك بيته وهيامه على وجهه، وتحولات أقرب الناس إليه حتى خادمه وخادمته، وما لمسه من معاملة سيئة وما سمعه بأذنيه فى الشارع، فصبر على كل ذلك(68). وفى ذلك يقول :

- **لقد تخلي (ابتعد)عني الهي واختفي ،**
- **لقد هجرتني إلهتي وابتعدت عنى ،**
- **وفارقني الروح الحارس (الملاك الصالح) الذي يرافقني .**
- **ذهبت عافيتى(قوتى) وأصبحت عارياً من العناية ووهنت رجولتى وراحت هيبتى.**
- **وظهرت أمامى إشارات المصير فخرجت من بيتى ومشيتُ هائماً ،**
- **رأسي المرفوع(العالى) الفخور طأطأ(انحنى) نحو الأرض ،**
- **وقلبي الجسور(القوى) قد تملك منه الخوف(أصبح هشاً) .**
- **وبعد أن كنت أخطو بفخر وعز، تعودت الانسلال كمجهول ،**
- **وبعد أن كنت سيداً محترما غدوت عبداً ذليلاً .**
- **إذا عبرت الطريق(حين أمشى فى الشارع) أشارت إلى الأصابع(الكل يشير إلى).**
- **أصدقائي أداروا لي ظهورهم (ابتعدوا عنى) ،**
- **وصحبي تحولوا إلى أشرار وشياطين ،**

---

(67) شاعت فكرة المعبود الشخصى Personal God أو المعبود الحارس (الملاك) فى العصور البابلية المتأخرة، وعرف باسم " لاماسو" المشتق من الاسم السومرى "لاما" الذى أو التى كانت تتشفع للشخص لدى المعبودات الكبرى وتقوم بحمايته اليومية، لذا وجب على المرء أن يطيع هذا المعبود الشخصى قبل غيره بأن يصلى له ويقدم له القرابين كل يوم، وهى تقابل القرين عند المصريون القدماء، وقد عثر على الكثير من الأختام الاسطوانية التى نقش البابليون أسماء معبوداتهم الحامية عليها. راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 242، 252؛ طه باقر: سومر، المجلد الثانى، الجزء الأول ، بغداد 1946، ص6؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 262؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 148.

(68) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 252؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 149،148.

- **حتي عبيدي لعنوني في المجالس العامة ،**
- **وأهل بيتي عاملوني كنكرة وغريب .**
- **لا أحد يقف فى صفى (معى) ولا أحد يفهمني ،**
- **وممتلكاتي جري توزيعها على الأغراب والدهماء(وما كنت أملكه لم يعد معى) .**

إن هذه الصورة التى جسدها هذا النبيل البابلى تكاد تكون شبيهة جداً بالسطور التى حفظتها التوراة عن أيوب الذى كان هو الآخر رجلاً تقياً وورعاً ومحسناً، وكانت له ثروة طائلة (أيوب1:1-4). ومثل نظيره البابلى سرعان ما ابتلى أيوب على يد الشيطان ففقد كل شيء ماله وممتلكاته وأهله (أيوب1: 14-21). كما تنكر له -أيضاً- الأهل والأقارب والأصدقاء وحتى الخدم والعبيد (أيوب19 : 12-16). ورغم كل هذه المصائب التى ألمت بهما فهل ازدريا بالقضاء الإلهى ؟ وهل كفرا وجدفا ؟ كلا بل لوحظ حرصهما الشديد على إرضاء آلهتهما، فتقول التوراة أن أيوب **"... خر على الأرض وسجد، وقال عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً. فى كل هذا لم يُخطىء أيوب ولم ينسب لله جهالة"** (أيوب1: 20-22) [69]. أما"شوبشى مشرى شكان" فيتذكر تقواه المثالية حتى عجز عرافه ومفسر أحلامه عن تفسير ذلك. فنجده يخاطب ربه بالبكاء والتضرع ويندب قائلاً:

- **رفعت دعائي إلى(صرخت منادياً) إلهي فأشاح بوجهه عني، رجوته فصد وجهه،**
- **صليت إلى (رجوت) إلهتي فلم تُدر وجهها نحوي (فلم تلتفت) .**
- **حار العرافون ولم تفلح نبوءاتهم بشأني .**
- **ولم يفهم مفسرو الأحلام، بعد كل ما سكبوا من ماء القرابين، قضيتي**

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد لا بالنسبة لكاتبنا ولا بالنسبة لأيوب ففى اللوح الثانى من هذا النص، يواصل حديثه عن تعرضه إلى مزيد من العذاب والشقاء، ويُرجح أن إيضاح ما يمكن أن يحصل للمرء عندما تتخلى آلهته عنه هو غاية هذا النص، ويتبين هذا من أن غضب الآلهة عليه هو أساس ما حدث له، كما أنه يشير إلى فكرة الخطيئة[70] ضد الآلهة وأنواع هذه الخطيئة والتى قد تتمثل فى عدم تقديم القرابين للمعبودات أو تناول الطعام دون ذكر المعبود أو الحلف الكذب بالآلهة[71]. فيقول:

---

(69) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 298،299.

(70) شاعت فكرة الخطيئة لدى البابليين، ولم تكن مجرد حالة معنوية من حالات النفس، بل كانت كالمرض تنشأ من سيطرة الشيطان على الجسم، والذى كان فى مقدوره أن يهلكه (راجع: ديورانت: المرجع السابق، ص 226). ومن قبل اعتقد السومريون بأن الخطيئة وجدت بوجود الإنسان **"فما ولد لأم طفل بلا خطيئة قط" و"ما وجد طفل بلا خطيئة منذ الأزل".** فالآلهة وحدها العالمة بالخطايا، أما الإنسان فجاهل ومغرور ولا يعرف إلا القليل؛ ولذلك يقع فى العقاب" **أيها الإله أن أخطائى فادحة وذنوبى كثيرة الناس صامتون لا يعرفون ماذا يجرى،**

- **لقد صرت كمن لم يقدم لإلهه قرباناً .**
- **وصرت كمن لم يشكر إلهته عند كل طعام ،**
- **كمن فقد صوابه ونسي ربه ،**
- **وكمن حلف قسماً عظماً باسم إلهه كاذبا .**
- **رغم أنى كنت حريصا على الصلاة في كل وقت ،**
- **وكان يوم الصلاة عندي مسرة للفؤاد .**

هنا تبدو مشكلة صاحبنا وتتمثل فى أن بعض المعبودات قد تعامل الإنسان الذى قضى حياته فى عمل الخير والفضيلة كأنه آثم. ومن ثم فأنه ليس فى الاستقامة وحياة الفضيلة ما يضمن العافية والسعادة. بل كثيراً ما يبدو فى أن الاعوجاج والسوء طريقاً أمثل للنجاح، مما جعله فى حالة صراع مابين إنكار عقله وقلبه لما يحدث، فهل فى الإمكان تطبيق هذه القواعد الخلقية البشرية على الآلهة ؟ الإجابة بالنفى؛ لأن الإنسان ضيق الأفق وأصغر من أن يحكم على الأمور الإلهية. وليس له الحق فى مجابهة قيم الآلهة بقيمه الإنسانية. وقد قاده ذلك إلى طرح العديد من المسائل الفلسفية منها: مسألة معرفة مشيئة الآلهة فى السماء أو فى الأرض؟. وكذلك مسألة القدر وتصاريفه وكيف تتغير أحوال الناس بإرادته بين لحظة وأخرى؟. ثم مسألة المرض وفلسفته وكيف يحدث ؟ وكيف حول كاتبنا إلى إنسان يهذى ؟[72] وفى ذلك يقول ويتساءل:

- **وما يبدو للإنسان حسنا قد يكون في عين إلهه رديئا(حقيراً) ،**
- **وهل يعرف أحد(من منا يعرف) مشيئة الآلهة في السماء ؟**
- **هل يعرف أحد(ومن منا يعرف) خطط الآلهة على الأرض(الأعماق) ؟**
- **ومتي كان للبشر(ومن أين لنا معرفة) أن يفهموا أو يعوا طرق الآلهة ؟**

ويندب حظه قائلاً:

- **(واحسرتا) من كان منهم حيا في الأمس تراه اليوم ميتا .**
- **ومن كان مغموما(حزينا) لتوه تراه الآن يصخب مرحا .**
- **تارة يغني طربا(من فرط الفرح)، وكالندابات المحترفات يعول(ينتحب) تارة.**
- **(واحسرتا) كيف تنقلب أحوالهم بأسرع من طرفة عين .**
- **إذا جاعوا صاروا كأنهم جثث ساكنة ،**
- **وإذا شبعوا تراهم تشبهوا بالآلهة .**
- **في زمن اليسر يتحدثون عن ارتقاء السماء ،**
- **وفي زمن العسر يتحدثون عن هبوط أرض الفناء .**

والإنسان مهما كان ماذا يعرف، أنه لا يعرف فيما إذا قام بعمل خير أو عمل شرير". وفرق السومريون بين نوعان من الخطيئة أولهما: الخطيئة الدينية التى تثير غضب الآلهة. وثانيهما: الخطيئة الأخلاقية والسياسية التى كانت تعنى لهم المعصية المرتكبة ضد قوانين المدنية (الماجدى: الدين السومرى، ص 177).

(71) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 299؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 148،149.

(72) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 254،255؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 150.

- **لقد تأملت ذلك كله ولم أفهم له معنى .**

ويواصل حديثه عن تعرضه إلى مزيد من العذاب والشقاء ليس بمقدور أى إنسان أن يتصور مدى قسوته ويتحمل آلامه[73]قائلاً:

- **وها هى الأمراض الموجعة تنهش بقيتى ،**
- **والرياح الشريرة تعصف فى أفق حياتى .**
- **عيناى تنظران ولكن لا أرى أمامي ،**
- **وأذناي تصغيان ولكن لا أسمع حولى .**
- **غلب الضعف على جسدى .**
- **وداهمت العلل أجزائي وأوصالى .**
- **تصلبت ذراعاى وخارت ركبتاى ،**
- **ونسيت قدماى مشيهاً وحركتها ،**
- **وها صفرة الموت تغطى محياى ،**
- **ها جنازتي معدة وقبرى يناديني .**
- **وقبل أن تفارقني الروح توقف البكاء على .**

أما العذاب الذى لاقاه أيوب بعد أن فقد كل ما لديه من متاع الدنيا، فقد حفظت لنا التوراة صورة عنه هى الأخرى مؤلمة جداً وقاسية (أيوب2: 7-13). فقد أصيب بداء عضال لا يعرف سببه ولا يعرف لِم ابتلاه به الرب. وهكذا سارت الأمور لكلا الرجلين المعذبين من سيء إلى أسوأ، ومع ذلك كله فقد كان الصبر فى مرحلة العذاب الطويلة والإيمان المطلق بالعدالة الإلهية صفتين بارزتين فى كل من القصيدة البابلية وفى سفر أيوب[74]. ولئن بدا السؤال السابق للعقل خاطئاً للوهلة الأولى، فلن يُرضى القلب لإحساسه بالغبن، ومع ذلك أجابت القصيدة القلب بأن من أهم واجبات الإنسان الإيمان بالآلهة والأمل فيها فالمؤمن لن يعانى إلى الأبد. ووسط هذا الجو السوداوى والمفعم بالإحباط، وبعد أن يصل الرجل إلى ذروة اليأس، تحدث مفارقة غريبة، حيث تأتيه بشائر الخلاص من خلال ثلاثة أحلام كلها كانت تشير له بالشفاء، وتشير كذلك إلى أن تضرع صاحبنا لم يذهب سدى[75]. حيث نقرأ :

- **حلمت أن رجلاً طويل القامة ناصع اللباس ،**
- **كان مشعا ورهيباً وقف أمامى وقال لى أرسلتنى السيدة لأقول لك.**
- **وحلمت حلماً ثانياً ظهر فيه كاهن التطهير...**
- **وسكب على الماء وقرأ على تعويذة الحياة ودلك جسمى.**

---

(73) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 299.

(74) المرجع نفسه، ص 301،302.

(75) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 255،256؛ ساكز: المرجع السابق، ص 493؛ وعن تفاصيل تلك الأحلام وبقية النص راجع: الماجدى: المرجع السابق، ص 152-154.
Lambert,Op.Cit,P53-62

ورأيت فى الحلم الثالث امرأة رائعة الفتنة ..
جلست قرب فراشى فقلت لها : من أجلى اطلبى الرحمة .
فقالت : لا تخش شيئاً سأكون شفيعتك ورتلت : الرحمة لمن آلامه كآلامك ،
أياً كان , ولكل من أتته هذه الرؤيا .
وظهر لى.... مثل شاب ذى لحية وعمامة . وفى يده لوحة ويقول :
أرسلنى مردوخ لأقول لك يا "شوبشى مشرى شكان" فرجك قريب .

ثم يتدخل "مردوخ" ليُعيد إليه صحته وكرامته وممتلكاته، وبذلك يعود إلى وضعه وسيرته الأولى. وينتهى هذا النص- اللوحان الثالث والرابع- بمديح الإله"مر دوخ" وزوجته وملاكه الحارس، وبتنفيذ كل ما نذر به بإقامة الطقوس أمام معبد الايساجيل (إيساك إيلا) فى بابل وإقامة مائدة للطعام(76). وفى ذلك يقول:

أعطانى "مردوخ" علامة.
إنتشلنى من مرضى وفك قيودى،
ارتاح قلب إلهى وتقبل صلواتى
ومنحنى النعمة وحل عقدة خطاياى ،
وجعل الريح تحمل خطاياى.....
فمن سيرى شمسه دون مردوخ ،
ومن سيمضى طريقه دونه ،
مردوخ الذى يبعث الموتى فأنشدوا له ومجدوه أيها البشر.
وها عدت إلى متابعة السجود ،
وعلى أبوابه ملاكى الحارس عاد ملاكى ....
ووضعتُ أمامى البخور العطر وكدستُ القرابين والتقدمات،
وضحيت بثيران سمينة وذبحت خرافاً وقدمتُ خموراً وعسلاً
ولمردوخ وملاكى الحارس والكهنة والإيساجيل فرشت موائد طعام عامرة أفرحت الصدور.

أما بالنسبة لوضع أيوب فقد انتهى صبره هو الآخر مثلما انتهى إليه صبر "شوبشى مشرى شكان" برضاء الرب، وإعادته سيرته الأولى مضاعفاً ومبيناً له حكمته التى لا تدركها العقول والأبصار فى كل ما خلق ودبر وقدر(77).

وبعد فهذه بلاشك تجربة قاسية على المستوى الاجتماعى والنفسى والصحى؛ جسد فيها الرجل صورة لعذابه النفسى والجسدى، ولكن على الرغم من تلك المأساة وطول مدتها، فقد ظل فى قرارة نفسه مؤمناً بأن ربه لن يخذله، وبأن اليوم الموعود قادم لا محالة محملاً برحمة "شمش"؛ ولذلك يُعد هذا النص خير تعبير عن الحالة السيئة(حياة القلق والمحن) التى وصلت إليها بابل إبان الحكم الكاسى، وقد أرجع البابليون ذلك إلى تقصيرهم وابتعادهم عن آلهتهم التى ابتعدت بدورها عن الشعب فنزلت به الكوارث

(76) الماجدى: المرجع السابق، ص 153،152،150؛ السواح: المرجع السابق، ص 239.
(77) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 304.

والمحن ودفعته إلى اليأس. وبرغم ذلك ظل الشعب مؤمنا بأن "مردوخ" هو المنقذ والغفور الرحيم الذى بيديه وحده أسباب إنقاذ الشعوب من محنها، وقد ورد هذا صراحة فى النص السابق، وهو واحد من أناشيد تظلم كثيرة شرح فيها الإنسان البابلى وضعه للآلهة راجياً إياها العفو والغفران(78).

ومن خلال هذه المأساة التى عاشها الشعب البابلى، نشأ نوع من أدب الحكمة ساد أوساط عامة الشعب، وتناول بموضوعاته جميع المفاهيم الخلقية والدينية اليومية، بعيداً عن مواقف الكهنة وفلسفتهم المعقدة فى فهم الحياة (79).

ورغم نقاط التشابه العديدة والأساسية بين قصة هذا النبيل البابلى وقصة أيوب التوراتى(80)، إلا أن مصدر الخلاف الوحيد بينهما يكمن فى دوافع الإلهين "مردوخ" و"يهوه". ويدعم ذلك النص البابلى الذى لا يذكر اسباب المصائب التي حلت بهذا الرجل الصالح، كما لا يذكر الأسباب التى من أجلها أيضاً تدخل مردوخ لإنقاذه وإعادته إلى طبيعته الأولى. أما فى قصة أيوب التوراتى، فالوضع مختلف حيث يوغر الشيطان صدر الإله على أيوب الصالح الثرى ويؤلبه عليه، ويقنعه بأن صلاحه وتقواه ليس إلا سبب النعمة التى يعيش فيها، فإذا زالت النعمة فالوضع سوف يتغير إلى النقيض فيرتد عن إيمانه بربه، ويكفر به. وتصل تلك الدراما إلى قمتها بحدوث ما يشبه الرهان بين الشيطان والإله يهوه، الذى ما لبث أن ابتلى أيوب بالمصائب ليعرف مدى صلاحه وتقواه، رغم أنه كان فى غنى عن هذا كله فهو الإله الأعلى العليم والمطلع على أفئدة عباده. أما النص البابلى فلم نجد فيه مثل هذه الدوافع المريضة، حيث نرى الإنسان ملتزماً بنبله الإنسانى، والإله ملتزماً بنبله الإلهى(81).

فى حين أن البعض الآخر لا يحبذ تسمية هذا العمل بأيوب البابلى، رغم معالجتهما لقضية واحدة وهى قضية العذاب، كما يريا أنه لا يمكن مقارنتها ومضاهاتها بأية حال بقصة أيوب التوراتية لتميز ما جاء بالتوراة وسموه على القصيدة البابلية فى سعة المدى، وعمق الفهم، وجمال التعبير(82). ومع ذلك تمثل هذه القصيدة أول محاولة مدونة للإنسان فى معالجة تلك القضية الضاربة بجذورها فى القدم إذ تسبق التوراة بأكثر من ألف

(78) توفيق سليمان: المرجع السابق، ص 263؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 148؛ وراجع أيضاً: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497 .
(79) توفيق سليمان: المرجع السابق، ص 265.
(80) راجع: ديورانت: المرجع السابق، ص 256، 258؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص 253؛ السواح: المرجع السابق ، ص 239؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 148ومابعدها؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 298-305 ؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص497. وقد ظهرت أكثر من دراسة حول المقارنة بين أيوب التوراتى وأيوب البابلى راجع: كريمر: المرجع السابق، ص 207-214.
(81) السواح: المرجع السابق، ص 239؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص243-244.
(82) ساكز: المرجع السابق، ص 492؛ كريمر: من ألواح سومر، ص 208؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص 253.

سنة[83]. كما تذكرنا هذه القصيدة بذلك الحوار الرائع الذى سجله أحد الكتبة المصريين على بردية بين رجل يئس من الحياة وعيوب الدنيا فى عصره، وجعل روحه تتحدث إليه كأنها شخص آخر، وظل كل منهما يحاور الآخر، وشكا لها ضيقه من الحياة، وأنه تكفل بالدعوة بين الناس ولكنه لم يجد من بينهم مجيباً[84].

نماذج تبين عدم ارتباط الأخلاق بالدين:

وعلى النقيض تماماً من النصوص الثلاثة السابقة التى تُمجد الأخلاق وتحُثُ عليها، هناك بعض النصوص المثيرة للجدل تبدو للوهلة الأولى أنها تدعو إلى التشكيك فيما يخص هذا الموضوع، بل وتذهب- أيضاً - إلى ماهو أبعد من ذلك إلى حد التشكيك بمصداقية الآلهة، بل وبوجود الآلهة نفسها وعدالتها، وهى عبارة عن نصوص حوارية منها: هذا النص الأدبى الذى يعرف باسم **الحوارية البابلية** أو **حوار العدالة الإلهية Babylonian Theodicy**(قصيدة العدل الإلهى) أو(**حوار ساكيل – كينم – اوبيب أو ساجل- كينا موبيب Saggil-Kenamoubbib**) الكاهن المختص بالتعاويذ، عابد الإله والملك، ويرجح أن تاريخ كتابته للحوار يرجع إلى عصر الملك" نبوخذ نصر"(604—562ق.م) أو إلى نهاية العصر الكاشى ربما إلى حدود 1000ق.م. ويتألف من حوالى(300) سطراً موزعة على (27) مقطع شعرى أو (دوراً Stanza)، وكل مقطع يتألف من أحد عشر بيتاً لكل منها[85]. وهو حوار ذو طابع فلسفى ويمتاز بالجرأة قياساً إلى عصره، وجرأته تتجسد فى كونه يشكك فى وجود قاعدة ثابتة يرتكز عليها مفهوم العدالة الإلهية فى الحياة الدنيا، وكذلك الخيار الأخلاقى، وهذه هى القضية الغاية فى الأهمية التى يركز عليها هذا الحوار، الذى يحتوى على العديد من الموضوعات: سبع منها حوارات – متنوعة- متبادلة بين (ساجل) المتشكك (المتألم أو المعذب) وصديقه المؤمن، وفى الثامن يعود المتشكك إلى رشده وإيمانه والتسليم بقدرة الآلهة[86]. وفيما

(83) كريمر: من ألواح سومر، ص 208؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 147.

(84) رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص 244. ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع: رمضان عبده: تاريخ مصر القديم، جـ1، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة 2001م، ص 593-594.

(85) ساكز: المرجع السابق، ص 493؛ فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 294؛ رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص 242-243؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 141؛ السواح: المرجع السابق ، ص 239. ومن المرجح أن أقدم ألواحها جاءتنا من مكتبة "أشور بانيبال"، كما أن تاريخها لا يمكن أن يكون أقدم من الفترة الكاسية؛ لشيوع اسم "ساجل" فى الفترة الكاسية(عبد الهادى الفؤادى: من عيون الأدب العراقى القديم "الألهيات البابلية"، مجلة سومر، المجلد الحادى والثلاثون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1975، ص 55،56،60،61. وهى مقالة معربة من كتاب " لامبرت "(أدب الحكمة البابلى). W.Lambert,Op.Cit,PP.63-91.

(86) الفؤادى: المرجع السابق، ص 55،56؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 141،142؛ وراجع

يلى عرض لأهم سطوره ذات الصلة بالأخلاق[87]. يبدأ المتشكك **حواره الأول** موجهاً الكلام إلى صديقه المؤمن باثاً همه فالدنيا قد اسودت فى عينيه، ولم يعد يرى أملاً فى الخلاص، فقد جاء إلى هذه الدنيا يتيماً، وأصبح دون راع أو معين مما أصابه باليأس والقنوط قائلاً:

- **أيها الحكيم [.....] تعال ، دعنى أُخبرك .**
- **..... أنا فان ، وقد خيم على الهم ، ليس لى سوى الحزن ،**
- **إننى مذ كنت صغيراً أصابنى الحزن ومزقنى ،**
- **لقد أخذ القدر أقرب الناس إلى**
- **وها أنا أذهب إلى نفس المصير إنه قدرى المحزن ...**

وفى الحوار الثانى يوبخ الصديق المؤمن صاحبه المتشكك على يأسه وقنوطه، ويشير إلى أن موت والديه أمر طبيعى؛ لأنه نهاية كل البشر. أما الحياة القاسية التى يعيشها وما آل إليه من حال يرثى لها، وتتمثل فى ضعف جسده وشحوب وجهه، فيرد صاحبه المؤمن على ذلك بأنه يعتبر الرفاهية إنما تأتى نتيجة التقوى(وهو ما يكرره فى أكثر من موضع)؛ ولذلك ينصحه بتقديم القرابين والصلوات للآلهة لكى يسترد صحته وعافيته ويعود إلى سابق عهده[88] فيقول:

- **صديقى المحترم ، إن ما تقوله محزن .**
- **وإنك حقاً بهذا الطريق متجه إلى الموت بل إلى الشر ،**
- **وإن تصرفك هذا يشبه تصرف المجنون ،**
- **فقد أحلت وجهك المشرق إلى وجه عبوس،**
- **آباؤنا (أحبابك) ذهبوا فى طريق الموت وهذا أمر لابد منه ،**
- **والناس كلهم سيعبرون نهر (خبر)،الصالح فيهم**
- **وليس الغنى المتخم من يخدم الآلهة لأنه سيكون عندهم الملاك الحامى ،**
- **الشخص المتواضع الذى يخاف الآلهة لا يبدد ثروته .**
- **لقد أصبح جسمى حطاماً وخيم الهوان على،**
- **لقد أنكسر أملى وفقدت توازنى وضعفت قوتى وانتهت سعادتى،**

أيضاً: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498.

(87) عن النص والترجمة راجع:

Lambert,Op.Cit,P.70-89; R. D. Biggs,:" The Babylonian Theodicy "," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press , 1950.,P.601.

وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: الفؤادى: المرجع السابق، ص 63-73؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 141 – 147؛ وقد قام بعض الباحثين بترجمة بعض المتقطفات من هذا النص مثل: س.هـ. هوك: ديانة بابل وأشور، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987، ص 168 وما بعدها؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 295-304؛ ساكز: عظمة بابل، ص493-494 .

(88) راجع: الفؤادى، المرجع السابق، ص57؛ فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص 294.

الأنين والأسى سود قسماتى وحقولى مجدبة
وشرابى الذى هو راحة الخلق لا يُفرح وطعامى لا يُشبع،
فأين هى الحياة المرفهة أين؟
... اتخذ طريق عبادة الآلهة وستطمئن نفسك ،
سترى أنك فى جادة الصواب وسوف يمنحك الرب عطفاً ورحمة.

أما **الحوار الرابع** فيجادل فيه المتشكك صاحبه حول السعادة فى الدنيا، ويقول له بأنها من نصيب الغير متدينين على العكس منه، وهو بهذا يُثير لب القضية فلماذا يكون الشر والبؤس دائماً من نصيب الأتقياء والأخيار؟ وفى هذا توكيد على اتجاه هذا المعذب على قضية حقيقة وجدوى العدالة الإلهية. ويرد عليه صاحبه بأن للآلهة أهدافها ومراميها، ويجب عليه احترامها، وأن عقله المحدود لم ولن يرقى إلى معرفة ما تخطط له الآلهة وما سوف تقدره[89] فنقرأ :

... نصائحك جميلة ،
ولكنى أُريد أن أقول لك أن أولئك الذين يهملون الإله يسيرون فى طريق الرفاهية
أما الذين يُصلون للإله فإنهم يصبحون فقراء وتُأخذ أموالهم،
لقد اتبعت أثناء شبابى آلهتى ،
وخشعت لإرادتهم ولكن الإله منحنى الفقر والذل عوضاً عن الغنى ،
لقد غدى الكسول رئيسى والأحمق قائدى والمحتال أصبح أعلى منى ...
... عليك أن تحترم شعائر الآلهة ،
وعليك أن تعرف بأن خطط الإله تشبه مركز السماء ،
وعليك أن تعرف أن أوامره ليست بقيودٍ وأفكاره فى متناول اليد قريبة .

أما **الحوار الخامس** الذى يليه فقد وصل فيه المعذب إلى ذروة اليأس، وقرر أن يرتكب الخطايا، وأن يدوس على قوانين وشعائر آلهته - على عكس ما قام به **"شوبشى مشرى شكان"** صاحب نص **" سأثنى على رب الحكمة"** الذى صبر على البلاء ولم يسب آلهته[90] - وأن يهجر بيته حيث يقول:

أننى سوف أهجر بيتى وما أملك
وأتجاهل قوانين الآلهة وأدوس على شعائرها ،
ولسوف آخذ سبيلى وأذهب بعيداً .... كقاطع طريق ....
أما السعادة فلا أمل لى فيها .
فيرد عليه صاحبه المؤمن بقوله:
لقد فقدت عقلك يا ساجل ،
الآلهة خلقتك وارتضت لك العمل سبيلاً ،
وعليك أن تقبل به وإلا فإنك فاقد عقلك لا محالة .

---

(89) راجع: فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص295،293؛ الماجدى: المرجع السابق، ص143،142.
(90) راجع أعلاه ص 16.

وفى الحوار السادس والسابع يستمر المتشكك فى غيه ويقول لصاحبه المؤمن أنه لا مكان للفقير والمتواضع والضعيف، ولا للمؤمن فى هذه الحياة البائسة، وكيف أن تقواه وتدينه لم تجلب له سوى البؤس والفقر والحرمان. وهو حوار مثير إلا أنهما أخيراً توصلا إلى نتيجة نسفت كل حججهما التى بنيا عليها نقاشهما الذى بدآه بتحديد مدى مسئولية الآلهة عن نشر الحق والعدل بين البشر من عدمه، وقد ثبتت رؤيتهما سواء النظرية أو العملية. وهو تناقض واضح؛ ولذلك كان عليه أن يتبنى وجهة نظر معينة للخروج من ذلك، تتلخص فى أن الأشرار خلقتهم الآلهة على تلك الشاكلة[91]. ويرد عليه المؤمن بحزم بأن للحياة قوانينها وسننها، ومن الصعب فهم حكمة الآلهة؛ ولذلك ينبغى عليه البحث عن الحقيقة[92]. ويؤكد له:

- **أن الآلهة الذين خلقوا الإنسان ،**
- **ومنحوه الكلام هم الذين يقدرون مصائره ...**

أما الحوار الثامن فمثير للشجون حيث يفيق المتشكك من غيه، ويستجيب لنصائح صديقه المؤمن ويعود أدراجه إلى سيرته الأولى وإيمانه، ويلح على صديقه أن يستمر بالوقوف إلى جانبه، بل ويطلب مساعدة الآلهة[93] قائلاً:

- **إنك عطوف (ياصديقى) فانظر إلى حزنى!**
- **ساعدنى ، انظر إلى شقائى ، أفهمه !**
- **وأنا رغم كونى متواضعاً ، حكيماً متوسلاً .**
- **لم أر من يساعدنى أو يغيثنى**
- **فلقد عشت فى مدينتى بنفس عفيفة ولم يرتفع صوتى على أحد**
- **ولم أرفع رأسى غروراً بل كنت أنظر إلى الأرض**
- **عسى الإله الذى كان قد تركنى (هجرنى) أن يُعيننى ،**
- **وعسى أن تعطف على الآلهة التى كانت قد [هجرتنى] ،**
- **وعسى الإله (شمش) راعى الناس كلهم أن يعطف علىّ .**

والقارئ لهذا النص يلمس مدى حساسيته، والظروف التى كُتب فيها والتى يبدو منها أن الناس كانت تعيش أزمة روحية أخلاقية، فقد فقدوا ثقتهم بمعبوداتهم والتشكيك فيها بل وسبها؛ لذلك يلمس القارئ الجهد الواضح الذى بذله المؤمن مع صديقه المتشكك، وكما أن غاية نص" شكان" هو إيضاح ما يمكن أن يحدث للفرد عندما تتخلى عنه آلهته، فيرجح أن غاية نص "ساجل" دينية تعليمية وتقوم على المنهج العقلى[94].

(91) الفؤادى: المرجع السابق، ص59 ؛ ساكز: المرجع السابق، ص 494.
(92) راجع: الفؤادى: المرجع السابق، ص58؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 144.
(93) المرجع نفسه، ص 144.
(94) المرجع نفسه، ص 144،145.

وعلى شاكلة نص "ساجيل"، يوجد نص بابلى حوارى آخر لكنه ذو منهج مغاير وخصائص تختلف تماماً، والنص يقوم على المنهج السفسطائى، وهو يحتوى على محاورة سفسطائية، تقص سلسلة من التحولات والتبدلات بين السيد وعبده، حيث يسأل السيد العبد رأيه فى كل مرة ينتوى فيها القيام بعمل معين سواء بالسلب أو الإيجاب نرى العبد يثنى على السلوكين(95). وهو ما يدل على التحول الذى طرء على المجتمع العراقى فى الألف الأول ق.م. التى كانت أحد أبرز سماتها التشكيك بالقيم الاجتماعية السائدة، والرفض التام لفكرة الحياة الفاضلة(96). ولذلك يعتبر هذا النص من أكثر النصوص الأدبية إثارة وطرافة، وطرافته تتجسد فى كونه يشكك فى وجود قاعدة ثابتة يرتكز عليها الخيار الأخلاقى، وعبثية الحياة وعدم استقرار قيمها، أى أنه من أدب السخرية والتشكيك والتشاؤم(97).

والنص معروف بعنوان: **"حوارية السيد والعبد"**(98) أو**"حوار بين سيد وعبده"**(99) أو**"حوار بين عبد وسيده"**(100) **"تقلبات السيد والعبد"**(101)، أو **محاورة التشاؤم**(102).

وفيما يلى عرض لأهم سطوره ذات الصلة بالموضوع(103): يبدأ النص بوصف الحالة

(95) ساكز: المرجع السابق، ص 494.

(96) جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498.

(97) راجع: أحمد أمين سليم: الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح "، الإسكندرية 1985، ص36 ؛ السواح: المرجع السابق، ص 239-240؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 135،144.

(98) السواح: المرجع السابق ، ص 240.

(99) جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498؛ أحمد أمين سليم: المرجع السابق ، ص36.

(100) رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص244.

(101) الماجدى: المرجع السابق، ص 135.

(102) جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ ساكز: المرجع السابق، ص 494 .
Lambert,Op.Cit,PP.139.

(103) عن النص والترجمة راجع :
Lambert,Op.Cit,PP.144-149; Pfeiffer. Robert H ,"A pessimistic Dialogue between Master and sarvant"," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press,1950.,P.437; R. D.Biggs, Op.Cit.PP 600-601; E.A. Speiser," The Case of the Obliging Servant" JCS,VIII(1954),P. No.3.
وعن الترجمة العربية لهذا النص راجع: السواح: المرجع السابق ، ص240-242؛ الماجدى: المرجع السابق ، ص 135-140؛ جاكبسون: المرجع السابق، ص 257-259؛ وقد قام العديد من الباحثين بترجمة مقتطفات من هذه الحوارية منهم: فاضل عبد الواحد: سومر أسطورة وملحمة، ص 256-259؛ رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ص244-246؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 498-499؛ أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص 36-37.

الاجتماعية التى كانت عليها بلاد النهرين آنذاك، وتبدلها إلى الأسوأ فالظلم والفوضى قد انتشر وعم الفساد فضاعت القيم وانهارت العدالة. حتى وصل الأمر بالناس إلى اهتزاز ثقتهم بمعبود اتهم والتشكيك فيها بل والتهكم عليها[104] جاء فيه:

- **الحاكم يظلم المحكوم والغنى ينهب الفقير والسيد يمتهن العبد ،**
- **لقد تبدلت الحياة**
- **وحيثما كانت فرصة للمحكوم بضرب الحاكم**
- **أو للفقير بالتحايل على الغنى فإنهما يفعلان ذلك .**
- **حيثما كانت فرصة لتملق العبد للسيد ظهرت حكاية هنا وهناك**
- **لقد ضاعت القيم تماماً ولم يعد هناك ما ينطق بالعدل ،**
- **هل اختفت** المعبودات **؟**
- **ألم تعد تقدر مصائر البشر والطبيعة ؟**
- **هل تخلت** المعبودات **عن الإنسان واهتز ميزان شمش ؟**

ويحتوى هذا النص على العديد من الموضوعات: أربع منها حوارات – متنوعة- متبادلة بين السيد وعبده، تدور حول أنماط مختلفة من السلوك الاجتماعى للسيد كالذهاب إلى القصر للتقرب من أهله، وتناول الطعام، الذهاب للصحراء، التعامل مع الخصم. أما الموضوع الخامس فيدور حوار طويل بين السيد وعبده حول العديد من القيم وتقلباتها ومن بينها حياة الثورة والتمرد، وممارسة الحب، وعن التقوى والإيمان بالآلهة[105] جاء فيه:

- **أيها الخادم ، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى ، نعم**
- **سأمارس أعمالاً غير مستقيمة(سأتمرد وأحمل السلاح) .**
- **افعل ذلك، افعل(تمرد يا سيدى تمرد). فإنك إذا لم تأت أعمالاً غير مستقيمة(تتمرد)، من أين لك بلباسك ، ومن يقدم لك ما يملأ معدتك .**
- **كلا أيها الخادم . لن أمارس أعمالاً غير مستقيمة(أحمل السلاح) .**
- **لا تمارس عملاً غير مستقيم(لاتحمل السلاح)، سيدى، لا تفعل ذلك(لاتحمل السلاح). من يفعل ذلك إما أن يقتل أو يسلخ جلده . وإما أن تقتلع عيناه أو يرمى فى السجن .**
- **وعن ممارسة الحب يقول :**
- **أيها الخادم ، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى ، نعم .**
- **سأمارس الجنس(الحب) مع امرأة .**
- **افعل ذلك سيدى، مارس الجنس(الحب) مع امرأة؛ فإن مضاجعة النساء تنسى الرجل همومه ومتاعبه .**
- **كلا أيها الخادم، لن أمارس الجنس(الحب) مع امرأة .**

(104) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 136.
(105) راجع: جاكبسون: المرجع السابق، ص 256؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 138.

- **لا تفعل ذلك سيدى ، لا تفعل . فالمرأة شرك ، وحفرة (إنها السيف)، وخندق إنها خنجر حاد(سيف بتار) يحز(يذبح) رقبة الرجل[106] .**

وعن التقوى والإيمان بالآلهة :

- **أيها الخادم ، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى ، نعم .**
- **اجلب لى ماء لأغسل(لأطهر) يدى وأقدم قرباناً لإلهي .**
- **قدم قربانك سيدى، قدم قربانك. إن من يقدم لإلهه القرابين يقدم له قرضاً، وينام مرتاح البال .**
- **كلا أيها الخادم، لن أقدم قرباناً لإلهي .**
- **لا تقدم قربانك سيدى، لا تقدم قرباناً. لأنك إن لم تفعل ستجعل إلهك يحوم حولك مثل الكلب.**

وفى حوار آخر يغلب عليه الطابع الاقتصادى، ويدور حول إقراض الأموال وتوظيفها يستمر العبد فى نفاق ومداهنة سيده[107] حيث يقول :

- **أيها الخادم، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى، نعم .**
- **سوف أقرض للناس مالاً(سأوظف أموالى) .**
- **أقرض الناس مالاً سيدى، أقرض مالك. إن من يقدم قرضاً يحافظ على محصوله من الحبوب، ويجنى فوق ذلك فائدة على ماله .**
- **كلا أيها الخادم، لن أقرض الناس مالاً .**

---

(106) راجع: أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص36؛ وهذا الخطاب يذكرنا بخطاب جلجامش المُهين لعشتار عندما حاولت إغوائه، وعرضت عليه الحب والزواج، فقد رفض هذا الحب بل عدد لها ما فعلته بالرجال من قبله وخيانتها لمحبيها، والمصير المآساوى الذى آل إليه كل عشاقها، أما هو فلم يعد صيداً سهلاً لها. فقد قال لها فى اللوح السادس من الملحمة الأكادية : **ماذا على أن أعطيك لو اتخذتك زوجة ؟ ...وأى خير سأناله لو اتخذتك زوجة ؟ أنت ما أنت إلا الموقد الذى تخمد ناره وقت البرد ... أنت من أنت حفرة بغطاء يخفى غطاؤها كل غدر، أنت من أنت قار يلوث حامله، أنت من أنت قربة ماء تبلل حاملها ..الخ** راجع: كريمر: من ألواح سومر، ص 316 ؛ ساكز: المرجع السابق، ص 449-450؛ أ.كلينكل – براندت: رحلة إلى بابل القديمة، ترجمة زهدى الداوودى، ط 1، دار الجيل، دمشق 1984م ، ص 180؛ السواح: الأسطورة والمعنى، ص 219؛ جلجامش – ملحمة الرافدين الخالدة، دمشق 1996، ص52،51؛ ألبرت شوت: ملحمة جلجاميش، ترجمها عن الألمانية عبد الغفار مكاوى وراجعها عن الأكدية عونى عبدالرؤوف، سلسلة آفاق عالمية (23) القاهرة 2003م، ص 152-153؛ الماجدى: إنجيل بابل، ص 218،219.

J.H.Tigy, The Evolution of the Gilgamesh Epic, University of Pennsylvania 1982,P.24.

(107) راجع: الماجدى: المرجع السابق، ص 139.

- **لا تقرض مالك سيدى لا تقرض . فتقديم القرض سهل كممارسة الجنس، ولكن سداده صعب كالحمل والإنجاب. سيفيد الناس من قرضك ثم يتذمرون عليك، ويحبسون بعد ذلك فائدة أموالك .**

وعندما ينتقل الحوار إلى المساهمة فى الأموال العامة، نجد العبد يثنى على السلوكين السلبى والايجابى للسيد، لكنه يقدم صورة بلاغية رائعة عن عبثية الحياة فى نتائجها الأخيرة [108]حين يقول :

- **أيها الخادم، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى، نعم .**
- **سأقوم بعمل صالح يخدم بلادى(سأسهم فى الأموال العامة).**
- **افعل ذلك(ساهم) سيدى، افعل(ساهم). لأن من يقدم لبلاده خدمة يجزيه بها الإله مردوخ.**
- **كلا أيها الخادم، لن أقوم بعمل صالح يخدم بلادى(لن أساهم في الأموال العامة) .**
- **لا تفعل ذلك سيدى، لا تفعل. اذهب إلي خرائب المدن القديمة وتمش بينها. انظر إلى جمجمة الإنسان الوضيع وجمجمة الإنسان العظيم هل تستطيع التفريق بينهما ؟ هل تستطيع التمييز بين من قدم خيراً(الصالحون) لبلاده ومن قدم سيئه(الأشرار) ؟**

أى أن فعل الخير والشر سيان، فلن يستطيع أحد أن يحدد من فعل الخير ومن فعل الشر فكلهم منسيون وفى مدن منسية[109]. أما الموضوع الأخير من هذه الحوارية فيكشف عن الحقيقة المرة، وهى أن السيد فى واقع الأمر هو العبد؛ لأنه لا يستطيع الاستغناء عن العبد فهو مقيد به. وتلك هى المأساة الساخرة التى تخفيها هذه الحوارية، وفيها يتخلص العبد من حالة النفاق المستمر ويعرض رأياً مستقلاً عندما يسأله سيده بصورة مباشرة عن العمل ذو القيمة حقاً[110]:

- **أيها الخادم، أصغ إلى .**
- **نعم سيدى، نعم**
- **ما هو الخير فى رأيك إذن ؟**

وفى النهاية يكتشفان أن ليس هناك خير مطلق فى هذه الحياة، والكل باطل. وإذا كان الأمر كذلك، فلم يبق إلا الموت وهو الحقيقة المؤكدة فكان جواب العبد[111]:

- **أن يُدق منى ومنك العنق(تكسر رقبتى ورقبتك)**
- **ونرمى فى النهر فذلك جيد(ذلك هو الخير).**

ثم يواصل العبد كلامه بقول قديم يعبر عن صبره أو بالأحرى عن عجزه واستسلامه للأمر الواقع[112] :

---

(108) المرجع نفسه، ص 139.
(109) جاكبسون: المرجع السابق، ص 258.
(110) ساكز: المرجع السابق، ص 494؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 140.
(111) جاكبسون: المرجع السابق، ص 258.

- **فمن يستطيع فى هذه الحياة أن يتطاول فيرقى إلى السماء،**
- **أو يتسع فيحيط بالأسفل(بالأرض)[113].**

غير أن السيد يغير رأيه مرة أخرى وقد تملكته روح الجبن والأثرة، وأراد أن يغرر بعبده حين يقول له[114]:

- **كلا أيها الخادم، سوف أقتلك وأجعلك تسبقنى .**

ولكن العبد بدهائه يرد على سيده، ولسان حاله يقول طالما أن الكل باطل، وأن ليس هناك من فائدة تُرجى وخيرُ فى هذه الحياة، فأى نفع للسيد من إطالة حياته بعد عبده، وكيف يتحملها ولو ثلاثة أيام أخرى؟ وفى هذا إشارة إلى عجز سيده عن البقاء بدونه عجزه عن التفكير وعن التنفيذ بمفرده[115]فيقول:

- **إذا فعلت ذلك فإنك لن تعيش بعدى أكثر من ثلاثة أيام.**

والواقع أن القارئ للنص بإمعان يتبادر إلى ذهنه للوهلة الأولى الأزمة الروحية والأخلاقية التى كان يعيشُها الناس فى هذه الفترة، فقد تطاولوا على معبود اتهم وفقدوا الثقة بها، بل وصل الأمر إلى حد التشكيك فيها. وهو على غرار الحوارية البابلية، ويدعم ما ذكره نص "ساجيل". ولكن الفرق بينهما أن العبد فى محاورة التشاؤم عندما يُسأل لا يُقدم النصح الحقيقى لسيده بل يمتدح السلوكين الإيجابى والسلبى لسيده، وربما يُعزى ذلك إلى تملق العبد لسيده أو لكون العبد لا يرى اختلافاً بين السلوكين، على عكس الصديق المؤمن فى الحوارية البابلية السابقة الذى كان دائم النصح لـ "ساجل المتشكك" وفى النهاية يعود المتشكك إلى رشده وإيمانه والتسليم بقدرة الآلهة. وبينما يعبر سلوك العبد عن موقفاً عدمياً من الحياة ربما بسبب مكانته الدونية أمام سيده[116]. لا يعبر هذا النص عن وجود اتجاه عدمى من مسألة الأخلاق فى الثقافة الرافدية، بل إنه يؤسس بالفعل لأخلاقيات تعتبر مقدمة للتساؤلات الفلسفية اللاحقة حول ماهية الخير[117]. وبينما يرى "ساكز"[118] و"سبا يزر"[119] أن نص محاورة التشاؤم هو معالجة هزلية لقضايا فلسفية مثل أهمية الحياة والهدف منها ؟ وأنها ذات غرض هزلى أو سخرى. لا

---

(112) المرجع نفسه، ص 258؛ السواح: الأسطورة والمعنى، ص 242.

(113) هذا التعبير شائع فى الأدب العراقى القديم، ويعبر عن عجز الإنسان وقلة حيلته تجاه عالم المقدسات "القوى الماورائية أو الكوائن العليا" أو قوى الطبيعة، وهو على شاكلة تعبير "جلجامش" فى النص السومرى: جلجامش وأرض الأحياء، الذى يقول فيه: **فالإنسان مهما علا لن يبلغ السماء طولاً. ومهما اتسع لن يغطى الأرض عرضاً .**

راجع: السواح: جلجامش، ص43؛ الأسطورة والمعنى، ص 242 الحاشية(*) .

(114) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 499.

(115) جاكبسون: المرجع السابق، ص 259؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 499.

(116) الماجدى: المرجع السابق، ص 136.

(117) السواح: المرجع السابق، ص 242.

(118) المرجع السابق، ص 495.

(119) Op.Cit.,P. 98-105.

يشاطرهما "فاضل عبد الواحد على"[120] الرأى فى أن هذه القطعة هى ذات غرض هزلى أو سخرى، كما أنها لا تبدو أيضاً حوار مع متشائم، كما تعارف عليها معظم الباحثين، بقدر ماهى حوار فلسفى مفاده أن الخير والشر مفهومان نسبيان، يتغيران من حالة إلى أخرى، وأن ليس هناك خير مطلق أو شر مطلق؛ ولذلك تعد من أقدم المحاولات المدونة لبحث ومناقشة مسائل فلسفية أساسية مثل الخير والشر[121].

وإذا كانت الـ(مى أو مه) تمثل النظام الأخلاقى السارى فى الكون والمجتمع والفرد، فإن بعض نصوص الأدعية والصلوات السابقة، وكذلك الحكم والوصايا التى كانت تتردد على أفواه حكماء بلاد النهرين[122]. كانت بمثابة النظام الأخلاقى المكتسب والذى يتوجب تعلمه، وهى النصائح والتحذيرات والخبرات التى تجمعت لديهم خلال حياتهم الطويلة، وقد ورثوا جانباً منها عن أجدادهم، والجانب الآخر ثمرة تفكيرهم الخاص من حياة مليئة بالصعوبات، وغالباً ما أورثوها إلى أبنائهم بغرض أن تكون تعاليم اجتماعية شاملة تجمع بين أمور الدين والدنيا. ومن خلال نصوص الحكم والوصايا الكثيرة يمكن الوقوف على جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية للمجتمع العراقى القديم، والتى تُكمل الصورة العامة للحياة الأخلاقية فى بلاد النهرين[123].

ومن هذه النصوص: النصائح، التى غالباً ما تتضمن سلسلة من الجمل المفيدة تحمل النصح حول السلوك الخلقى، وتقدم كنصيحة من والد إلى ابنه. منها هذا النص، المكتوب باللغة السومرية يحث فيه الأب ابنه على طاعة أمه :

- **أطع كلام أمك كأنه أمر إلهى .**

فدائماً ما يوصى العراقى القديم بأن: "اسمع كلمة أمك كما تسمع كلمة إلهك"، "احترم أخاك الأكبر"، "اسمع كلمة أخيك الأكبر كما تسمع كلمة أبيك"، "لا تغضب قلب أختك الكبرى" [124]. ثم يحذر الأب ابنه من الغضب ومن الردود الانفعالية جاء فيه:

- **لا تدع الغضب يظهر على وجهك فى أثناء الخصام .**

---

(120) : "من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"، سومر، المجلد السادس والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1970م، ص 88 حاشية (2،3) .

(121) المرجع نفسه، ص 88 حاشية (3،2) .

(122) اشتهر "أحيقار" بأنه حكيماً آشورياً بل من أبرز حكماء بلاد النهرين، وكان مستشاراً فى بلاط الملكين "سنحاريب" (704-681ق.م) و"أسرحدون" (680-669ق.م)، وجاء ذكره فى سفر "طوبيا" وفى نصوص عبرية وسريانية وأرمينية وعربية، وقد عثر على مجموعة من لفائف البردى مدونة بالخط الآرامى فى جزيرة فيله تحتوى على نص حكمة أحيقار، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد. لمزيد من التفاصيل راجع: (فاضل عبد الواحد: من سومر إلى التوراة، ص 180،181؛ الماجدى: أنجيل بابل، ص 298؛ رمضان عبده: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، جـ1: إيران – العراق، دار نهضة الشرق القاهرة 2002، ص 271،297) .

(123) راجع: ساكز: المرجع السابق، ص 495؛ السواح: المرجع السابق، ص 242.

(124) جاكبسون: المرجع السابق، ص 239.

- **إذا نشب الخصام كالنار ، تأكد أنك تعرف كيف تطفىء(اللهيب)...**
- **إذا قال لك احد كلاماً عدائياً فلا ترد عليه بالمثل ،**
- **فذلك (يتضمن نتائج) وخيمة .**
- **إذا حكمت على شيء فلا ترفق ذلك باستهجانك (الشخصى)**[125].

ومثل هذه النصائح كانت شائعة فى الأدب المصرى القديم مثل تعاليم ونصائح الملك "خيتى" لابنه "مرى كا رع"، وكذلك ما جاء فى الإصحاح الـ (30) من سفر الأمثال بالعهد القديم[126].

ومن الحكم، التى يمكن أن تكون ذات صلة بالموضوع - والمكتوبة باللغة الأكدية - وقد وردت فى نص يثنى على الإلهة "نانشة" باعتبارها حامية القيم الخلقية جاء فيه:

- **الملك الذى يحب العدل ...**
- **يفرض العقوبة على الطرف المذنب ...**
- **بعد أن يكون قد قوم الشهادات الخاصة ورأى القرارات الخاصة**[127]**...**

وهاك مثال آخر من نص دون باللغتين السومرية والأكدية يحث على البعد عن الرذيلة والتمسك بالفضيلة والأخلاق جاء فيه:

- **من ينام مع (يلقح) زوجة رجل فذنبه عظيم**
- **من يقسم بأنه سيعمل أعمالاً رديئة ، من يشتم**
- **من يصف عائلته (إخوته) بكلمات شائنة ،**
- **من يظلم التابع ،**
- **من يسلم الضعيف إلى القوى ...**
- **يستحق الملامة (؟)**[128].

أما نصوص "وصايا الحكمة" فتأخذ شكل النصائح، وغالباً ما تكون من أب إلى ابنه، وتحتوى على تعليمات مادية تخص سلوك المرء فى المجتمع، أو توجيهات ذهنية وأخلاقية ذات قيمة روحية رفيعة منها هذا النص: الذى ربما يعود تاريخه إلى العام 700ق.م فى عهد الملك "سنحاريب"، وقد أرجع البعض تأليفه إلى أقدم من ذلك ربما إلى العهد البابلى القديم أو العهد الكاشى[129]. وهو من النصوص الطويلة، ولا يمكن عرضه بشكل كامل. وسوف نستشهد بأهم سطوره ذات الصلة بالأخلاق[130]. فيها يوجه الأب

---

(125) ساكز: المرجع السابق، ص 485.
(126) المرجع نفسه، ص 485 .
(127) المرجع نفسه، ص 485 .
(128) المرجع نفسه، ص 486 .
(129) المرجع نفسه، ص 495؛ السواح: المرجع السابق، ص 242.
(130) عن النص والترجمة راجع :
Pfeiffer. Robert," Akkadian Proverbs and Counesls",in:Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament", Princeton University Press , 1950,P.426-427;
وعن الترجمة العربية لهذه السطور من النص راجع: السواح: المرجع السابق، ص 242-243.

نصائحه وتعاليمه إلى ابنه - فى الجزء الأول - بأن يتكلم بحذر ويتجنب التجديف والزور والقذف قائلاً:

- **اكبح جماح فمك ، راقب كلماتك .**
- **وكما يحافظ الرجل على ثروته احفظ شفتيك .**
- **لا تتفوه بما لا يفيد ولا تعط نصيحة فى غير محلها .**
- **لا تصنع بخصمك شراً .**
- **ومن يبادرك بسيئة كافئه بحسنة .**
- **واجه عدوك بالعدل ولا تظلم .**
- **لا تترك قلبك نهبة لإغواء العمل السيئ .**

وفى **الجزء الثانى** يستمر فى إسداء النصح لابنه بأن يطعم الجائع ويسقى الظمآن، وأن يكون أميناً على بيت خزائن أميره ويحاذر من فرص الاختلاس لأسباب خلقية قائلاً:

- **أعط الطعام لسائله وشراب البلح لطالبه ،**
- **ولا ترد طالباً لصدقة أو ثوب .**
- **ففى ذلك مرضاة للإله شمش ، وبه يُجزي حسنة .**
- **كن مصدر عون لإخوتك، صانعاً للخير .**
- **أى بنى . إذا اختارك الأمير لخدمته .**
- **حافظ على ختمه محافظتك على نفسك .**
- **وإذا فتحت خزينته وولجت إليها ،**
- **سترى أموال لا يمكن عدها ،**
- **فغض الطرف عنها ولا يُراودك طمع بها .**

أما فى **الجزء الثالث** فيحذره من الغلظة فى الكلام والقول وعدم الافتراء على أحد لأن ذلك يجعله عرضة لغضب الإله وفى ذلك يقول:

- **لا تغلظ فى الكلام ولا تفتر على أحد ،**
- **من يغلظ القول ويفتر على الناس ،**
- **يعاقبه الإله شمش ويلاحقه طالباً رأسه .**

كما يحثه على عبادة آلهته(أن يصلى لها)، وأن يقدم لها القرابين بانتظام، فطريق الطاعة والخدمة والعبادة هى طريق التمتع بحماية الآلهة، وهى كذلك الطريق إلى النجاح فى الدنيا وفيها خيره فيقول:

- **عليك أن تصلى وتتضرع وتكرم**
- **كل يوم : وسيكرم (؟) ريعك ،**
- **....**
- **القرابين تطيل الحياة**
- **والصلاة تغسل الذنوب** [131].

ومن الوصايا تلك التى تحث على الآتى:

(131) ساكز: المرجع السابق، ص 496 .

- **لا ترتكب جريمة فلا يقلقك خوف الإله.**
- **لا تتحدث بالشر، فلا يدخل الحزن قلبك.**
- **لا تعمل الشر فلا تلاقى مصاعب دائمة**[132].

وهناك أشياء أخرى كثيرة فى هذا الاتجاه مثل الأقوال المأثورة:

- **عندما تكون متدبراً ، فان إلهك لك .**
- **وعندما لا تكون متدبراً فان إلهك ليس لك**[133].

وكما أن الأمثال- التى نشأت من خلال تجارب الشعوب عبر مسيرتها الطويلة - تعد خير وسيلة تعبر بها الأقوام عن مشاعرها وعن مثلها وقيمها، وهى عبارة عن جمل وعبارات قصيرة ذات أسلوب لاذع وتشمل موضوعاتها كل مناحى الحياة[134]. فقد كانت نصوص الأمثال السومرية والبابلية والآشورية جزءاً مهما من نصوص الحكمة، ويعد "أحيقار" أبرز شخصية فى العراق القديم اهتمت بالأمثال[135]. وتحث مجموعة منها على الأخلاق كالتضحية ونكران الذات من أجل من تحب كما فى الحالة التالية:

- **" من تُحبُ ، فأنت تتحمل عبوديتـ(ـهُ)!"** [136].

ونمط آخر من التضحية تتجلى فى أسمى معانيها فى الأبوة والأمومة وحنانهما من اجل ابنائهما فى المثل السومرى التالى:

- **"البقرة (تسير) فى المستنقع (إلا) أنها تترك العجل يسير فوق الأرض اليابسة!"**[137].

كما يوضح المثل التالى جوهر الطبيعة الإنسانية وجمالها عندما يتباهى الآباء بحب أبنائهم، مهما كانت نواقصهم وعيوبهم:

- **" تتحدث الكلبة قائلة بفخر: إذا كان لأطفالى لون ضارب إلى الصفرة أو لون داكن (فمهما يكن من شىء) اننى أحب صغارى!"** [138].

وكذلك الدعوة إلى المجتمع الفاضل من خلال الحث على الزواج المبكر واختيار شريكة العمر بوازع من الحب والرغبة الإنسانية وفى ذلك يقول المثل السومرى:

- **" تزوج حسب اختيارك ، وأنجب أطفالاً كما يرغب به قلبك ! "** [139].

---

(132) المرجع نفسه، ص 496 .
(133) المرجع نفسه، ص 496؛ وراجع أيضاً: الماجدى: إنجيل بابل، ص 298.
(134) عبد الهادى الفؤادى: بحث فى الأمثال العراقية(دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقى القديم والمعاصر-1- سومر، المجلد التاسع والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1973، ص 83 ؛ - القسم الثانى-، سومر، المجلد الثلاثون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1974م، ص 27.
(135) الماجدى: المرجع السابق، ص 298. وعن "أحيقار" راجع أعلاه حاشية (122) من البحث .
(136) الفؤادى: سومر، م 29، جـ 1،2 ، بغداد 1973، ص89.
(137) المرجع نفسه، ص 90.
(138) المرجع نفسه، ص 91.

وعن الأسرة، وأهمية التعاون والتآزر بالنسبة لخلق علاقات وطيدة بناءة بين أفراد الأسرة الواحدة لبناء كيانها نقرأ:

- **" عندما تُضاف يد إلى يد ، فان بيت الإنسان يبنى ... !"** (140).

ويؤكد مثل آخر على أهمية صلة القربى بين أفراد الأسرة الواحدة على ما سواها من روابط أخرى حتى الصداقة:

- **" الصداقة تدوم ليوم واحد ، وصلة القربى تدوم إلى الأبد!"** (141).

وليس معنى هذا إنكار للصداقة؛ لوجود أمثال أخرى تؤكد على أهمية وجود الصديق وقت الشدة حيث نقرأ:

- **" عندما تهان ، دع صديقـ(ك) يعمل!"** (142).

وتحذر بعض الأمثال من الظواهر السلبية الموجودة فى المجتمع مثل: الشخصية المستغلة وهى شخصية كريهة منبوذة ففى ذلك يقول المثل السومرى القديم(143):

- **" أنت لا ترجع ما كنت قد أخذت"**(144).

وعبر مثلُ آخر عن هذه الشخصية العفنة لكن بصيغة استفهامية استنكارية مؤكداً على أن هذا السلوك بغيض، ولن يرقى أو يعزز مكانة صاحبه.

- **" دع ماهو لى يبقى كما هو، دعنى آكل ماهو لك، فهل هذا يعزز المرء من مجتمع أصدقائه!؟ "** (145).

والتحذير من الشراهة فى الأكل وأثرها فى الصحة العامة يقول المثل السومرى:

- **" من يأكل كثيراً جداً فلا (يتمكن من أن) ينام !"** (146).

وعن الزوجة المبذرة والتحذير منها؛ باعتبارها وبال يحل بالبيت ويحيله إلى دمار نقرأ المثل التالى:

- **"الزوجة المبذرة التى تعيش فى بيت هى أسوأ من جميع الأشرار !"** (147).

إن هذه الفقرات القليلة السابقة تبرهن على علو المنظومة الأخلاقية وتميزها فى بلاد النهرين. ومن ثم وجب لإكمال هذه المنظومة تحديد العلاقة أو الصلة بين الأخلاق والشرائع(148). ومما يقال عن الشرائع أنها جزءٌ من الأخلاق العامة تم تأييده

---

(139) المرجع نفسه، ص 89.
(140) المرجع نفسه، ص 92؛ وراجع أيضاً: كريمر: من ألواح سومر، ص 223.
(141) الفؤادى: المرجع السابق، ص 94؛ وراجع: كريمر: المرجع السابق، ص 222.
(142) الفؤادى: المرجع السابق، ص 97.
(143) الفؤادى: سومر، المجلد الثلاثون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1974م، ص27.
(144) المرجع نفسه، ص 27.
(145) المرجع نفسه، ص 28 .
(146) المرجع نفسه، ص 28 .
(147) الفؤادى: سومر، المجلد التاسع والعشرون، الجزء الأول والثانى، بغداد 1973، ص 92.
(148) يعد الباحثون الأخلاق والشرائع من المكونات الثانوية للدين، فهى لا تدخل فى صلبه ولكنها تشكل ما يشبه المجال الاجتماعى له. وقد كانت الأديان مصدراً أساسياً من مصادر الأخلاق

بالعقوبات التى تفرضها السلطة. والقواعد التشريعية فى حقيقة أمرها لم تكن إلا قواعد أخلاقية بدت ذات قيمة استثنائية لنظام الجماعة، فدعمت بالقوانين التى تضمن التزام الأفراد بها[149]. مثل: **ما جاء فى أعمال "اورو- كاجينا" أو " أورو- أنمكينا" حاكم مدينة " لجش"** الذى يفتخر فى سجلاته بأنه أعاد العدل والحرية إلى الناس الذين قاسوا كثيراً، وأوقف الظلم والاستغلال ولما لا ؟ وقد اعتبر الإلهة نانشة إلهة العدالة الاجتماعية أمه، واعتبر نفسه مكلفا من قبل الإله "ننجرسو" راعى العدالة بالقضاء على جشع الكهان والموظفين، وبحماية الأرملة واليتيم، كما سن قانوناً أو عرفاً أخلاقياً يقضى بعدم زواج المرأة بأكثر من رجل وإلا سيكون الرجم من نصيبها مما أدى إلى وحدة العائلة وعدم تشتتها. ولهذا تعتبر إصلاحاته أول إشارة على بدء عصر التشريع الإنسانى[150]. **وما ذُكر فى مقدمة شريعة "اور- نامو" مؤسس سلالة " أور" الثالثة**، بعد أربعة قرون، والتى تعدد بعض أعماله فى مجال الإصلاحات الخلقية ومن أهمها: أن من رمى زوجة آخر بالفحشاء ثم برأها من امتحان النهر غُرم ثُلث مينا من الفضة، وأن من اغتصب جارية رجل آخر وكانت بكراً غُرم خمسة شواقل من الفضة[151]. فقد قضى على عدد من المظالم السائدة آنذاك، ونظم شئون الأوزان والمكاييل ضمانا للأمانة والاستقامة فى معاملات الأسواق، وعمل على حماية الأرملة واليتيم والفقير من المظالم والاستغلال[152]. **وكذلك ما ورد فى شريعة "لبت- عشتار" ملك مدينة "أيسن"** بعد نحو قرنين من الزمان، من أن الآلهة قد اختارته لإرساء العدل فى البلاد، ورفع الظلم عن العباد، وجلب الخير والرفاء للناس[153]. وكذلك **ما جاء فى شريعة "بلا لاما" ملك مدينة أشنونا** فى عصر الإحياء السومرى، والتى يبدو أنها قد استثمرت الحصاد القانونى والأخلاقى القديم[154]. وخير مثال على ذلك ما جاء فى المادة (27،28) من قانون أشنونا بوجوب اعتبار موافقة الأهل على الزواج شرطاً أساسياً لإتمامه وإلا كأن لم يكن، وتحريم الزنا على الوجه التالى:

- **"إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها ولم يقم وليمة الزفاف ولم يتعاقد مع أبيها وأمها فلا تكون هذه المرأة زوجة له حتى لو عاشت فى بيته سنة كاملة".**

والتشريع على مدار التاريخ (الماجدى: الدين السومرى، ص 169) .

(149) السواح: الأسطورة والمعنى ، ص 226.

(150) راجع: كريمر: من ألواح سومر، ص 192؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 197؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 170.

(151) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 207.

(152) كريمر: المرجع السابق، ص 192،193؛ وراجع أيضاً: رمضان عبده: المرجع السابق، ص 207؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 171.

(153) كريمر: المرجع السابق، ص 193؛ وراجع أيضاً: رمضان عبده: المرجع السابق، ص 212؛ دلو: المرجع السابق، ص 328؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 172.

(154) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 215؛ الماجدى: المرجع السابق، ص 172.

- **" إذا تعاقد مع أبيها وأمها وأقام وليمة وتزوجها فإنها زوجة شرعية وإذا ضبطت فى حضن رجل آخر يجب أن تموت ولا تستمر على قيد الحياة"**[155].

كما أن عقوبة القتل كانت لمن يغتصب فتاة مخطوبة[156]. هذا القانون الأخلاقى يشير إلى أن المجتمع العراقى القديم قد أمتاز بسيادة نظام أخلاقى رفيع وخاص، نظمته مجموعة من الأعراف والتقاليد ثم التشريعات التى كانت تدل على التحضر والثقافة[157].

والجدير بالذكر أن الشرائع العراقية القديمة سواء السومرية أو البابلية شرائع مدنية. وبما أن الأخلاق فى بلاد النهرين كانت تحض دوماً على الأمانة وعدم الاعتداء على ممتلكات الغير، فكان خرق هذه القواعد الأخلاقية يعد انتهاكاً لكل الأعراف الاجتماعية من جهة، وتعدياً على حدود الآلهة من جهة أخرى. ومن ثم وجب العقاب الذى استن بدوره من قبل السلطة الزمنية[158] فكما ورد فى شريعة حمورابى[159]. نقرأ:

- **" لو سرق رجل ثوراً أو شاة أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً (كان من أملاك إله(المعبد)، أو (من أملاك قصر)، يدفع ثلاثين مثلاً وإن كان من أملاك قروى ، يرد عشرة أمثاله . أما إن لم يكن لدى اللص ما يدفعه يقتل"**[160].

ونقرأ أيضاً:

- **" إن لم يقبض على اللص ، على المسروق أن يصرح(رسمياً) بما خسره (فقده) أمام إلهه . وعلى المدينة أو العمدة فى المنطقة أو الإقليم الذى أُقترفت فيه السرقة أن يعوض له خسارته "**[161].

بهذا التأكيد للقيم والقانون، وتأكيد وجود "الحياة الفاضلة" فى النهاية نصل إلى خلاصة هذه الدراسة ببعض الاستنتاجات نوجزها كالاتى:

- شغل الدين حيزاً كبيراً فى حياة العراقيين القدماء، وقام بدور بارز فى تشكيلهم الحضارى. وكان بمثابة المحور الذى تدور عليه مُثل الإنسان وآدابه وسلوكياته واتجاهاته فى حياته الاجتماعية والاقتصادية. كما كان أحد الأسس التى تقوم عليها

---

(155) المرجع نفسه، ص 174.
(156) رمضان عبده: المرجع السابق، ص 215.
(157) المرجع نفسه، ص 169؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 215.
(158) السواح: المرجع السابق، ص 226.
(159) عن شريعة حمورابى راجع: مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابى وأصل التشريع فى الشرق القديم، ترجمة أسامه سراس، ط2، دار علاء الدين، دمشق 1993م؛ هورست كلنغل: حمورابى ملك بابل وعصره، ترجمة غازى شريف ومراجعة على يحيى، سلسلة المائة كتاب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1987م؛ رمضان عبده: المرجع السابق، ص 221ومابعدها.
(160) مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابى، ص 70.
(161) المرجع نفسه، ص32.

الأخلاق ويسبغ عليها لون من التقديس. وقد تلمسنا هذا من تأثير الدين فى الاتجاهات الأخلاقية من خلال دراسة نصوص الحكمة والوصايا التى ترعى تطبيقها الآلهة. كما كانت النظم والقواعد الأخلاقية من أهم مقومات وعناصر الدين، ولا انفصام بينها.

- يمكن استخلاص منظومة أخلاقية واضحة المعالم فى العراق القديم، من خلال بعض نصوص الأدعية والصلوات، على الرغم من أن بعضها لم تكن مخصصة لعرض القواعد الأخلاقية، وإنما جاء ذكرها عرضا في سياق الضراعة للإله والثناء عليه. فالوصايا الأخلاقية وإن لم تكن هى البارزة فعلى أقل تقدير لم تترك أى مساحة للوصايا الطقسية. وهذا يعنى خلو النصوص الدينية ذات الصلة بالأخلاق، من الواجبات الطقسية تقريباً.
- يجوز للديانة العراقية القديمة أن تفاخر بعلو منظومتها الأخلاقية وتميزها. لأنها تمثل مباحث فى الأخلاق العلمانية عادت بالنفع والفائدة على البشر فى مختلف الأزمنة. فقد ساهمت بشكل واضح وخاص فى الأخلاق العبرانية.
- شغلت مسألة الإنسان المعذب والعدالة الإلهية العراقيين القدماء(السومريون والبابليون)، إلى الدرجة التى أخذت حيزاً كبيراً من يومياتهم، وكانت لهم فيها آراء متباينة إلى حد ما، كما وضح فى النصوص العديدة السابقة، وبخاصة نص لأمجدن رب الحكمة والحوارية البابلية. وأغلب الظن أن الاتجاه العام فى بلاد النهرين كان يميل إلى الإقرار بالعدالة الإلهية، وأن ليس على الإنسان سوى الصبر عند البلاء، وأن لا ييأس من رحمة الآلهة؛ لأنها سوف تنقذه فى نهاية المطاف. هذا المفهوم العقائدى له ما يقابله وبشكل واضح فى العهد القديم (سفر أيوب). وبتعبير آخر هناك نقاط تشابه عديدة وأساسية بين المعتقد الدينى التوراتى والعراقى القديم مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن سفر أيوب قد استُلهم منها.
- امتاز المجتمع العراقى القديم بسيادة نظام أخلاقى رفيع وخاص، نظمته مجموعة من الأعراف والتقاليد ثم التشريعات (السومرية **أعمال "اورو- كاجينا"، شريعة "اور- نامو"، شريعة "لبت- عشتار"، شريعة "بلا لاما" ملك مدينة أشنونا)**، و(البابلية **شريعة حمورابى)** التى كانت تنظم موقف الفرد من الآخرين، وسلوك الأفراد تجاه بعضهم بعضاً، وتجاه الجماعة التى ينتمون إليها، وكلها كانت تدل على التحضر والثقافة.
- ارتبطت الأخلاق بالدين فى بلاد النهرين ارتباطاً وثيقاً منذ وقت مبكر، وازداد عندما ارتبط النظام الأخلاقى والنظام الدينى للجماعة باجتماع السلطة السياسية والسلطة الدينية فى يد الملوك الكهنة الأوائل (ملوك المدن السومرية). على الرغم من أن ثقافة بلاد الرافدين أحدث عهداً من الثقافة المصرية فى تقديم نموذج عن قدم ارتباط الأخلاق بالدين. ومع ذلك، تصادف وجود بعض النصوص التى يُستدل منها على

عدم ارتباط الدين بالأخلاق – خروجاً على القاعدة السابقة – فى فترات تاريخية محددة مرت بها بلاد النهرين (كالعصر الكاسى) ساءت فيها أحوال البلاد وتردت، فضاعت القيم وانهارت العدالة، وانعدمت فيها ثقة الأفراد بآلهتهم، وقد يرجع ذلك إلى حالة الإحباط التى سادت المجتمع آنذاك بسبب انعدام العدالة الإلهية، وانعدام الإثابة على الأعمال الفاضلة. مما دفع الناس إلى اليأس والتشكيك فى الآلهة وبوجودها والتهكم عليها.

- اتسع مفهوم الأخلاق فى النصوص السابقة ليشمل تجريم الاعتداء على العروض، والممتلك، والفساد، والرشوة، والغش، والربا، والزنا، والتحذير من الشخصية المستغلة وهى شخصية كريهة منبوذة، وكذلك من الشراهة فى تناول الطعام، والتحذير من المرأة المبذرة. ويرى فيهما انحراف عن الخلق السليم الأمر الذى يستوجب غضب الآلهة وعقابها للبشر بأن تصب جام غضبها على مقترفى هذه الأفعال الشائنة.
- اتسع مفهوم الأخلاق فى العراق القديم من خلال نصوص الحكم والوصايا الكثيرة التى تجمعت لديهم خلال حياتهم الطويلة ليشمل قواعد التهذيب، وحسن التصرف مع الآخرين، والحض على الأمانة وعدم الاعتداء على ممتلكات الغير، والتضحية ونكران الذات من أجل من تحب، وطاعة الوالدين والكبار، البعد عن الرذيلة والتمسك بالفضيلة، التكلم بحذر وعدم الغلظة فى الكلام والقول وعدم الافتراء وتجنب التجديف والزور والقذف، وإطعام الجائع وسقى الظمآن، والحث على الزواج المبكر، واختيار شريكة العمر بوازع من الحب والرغبة الإنسانية، وكذلك الحث على التعاون والتآزر بين أفراد الأسرة الواحدة لبناء كيانها وخلق علاقات وطيدة بناءة. والتأكيد على أهمية صلة القربى بين أفراد الأسرة الواحدة، وعلى الصداقة. وهو مايدعو إلى فرحة الآلهة وسرورها ورضاها عن العبد الذى يخشاها، فيُقدم على عبادتها بأن يصلى لها، ويقدم لها القرابين بانتظام. فطريق الطاعة والخدمة والعبادة هى طريق التمتع بحماية الآلهة، وهى كذلك الطريق إلى النجاح فى الدنيا وفيها خيره. بأن تكافئه على ذلك بالمال الوفير والذكرى الخالدة بالذرية الصالحة والدائمة والعيش بسلام .
- أثارت النصوص السابقة بعض المسائل الفلسفية الوجودية الكبرى مثل مسألة معرفة مشيئة الآلهة فى السماء أو فى الأرض؟. وكذلك مسألة القدر وتصاريفه وكيف تتغير أحوال الناس بإرادته بين لحظة وأخرى؟. ثم مسألة المرض وفلسفته وكيف يحدث ؟. كما ألقت بعضها الضوء على فكرة الخطيئة ضد الآلهة وأنواعها، وكلها تعتبر مقدمة للتساؤلات الفلسفية اللاحقة حول مسألة الشك بوجود الآلهة وعدالتها وكذلك ما هية الخير والشر، ويذكرنا هذا بحوارات أفلاطون فى الأخلاق والعدالة الإلهية. كما تذكرنا تلك المحاورة السفسطائية المستفيضة بين العبد وسيده بتلك المناقشة الفلسفية الرائعة التى أجراها الفيلسوف الألمانى " هيجل " فى كتابه الشهير(فينومنولوجيا

الروح) وكشف فيه عن المأساة الساخرة التى أخفتها الحوارية السابقة وهى أن السيد فى حقيقته هو العبد.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

1. ابن منظور: لسان العرب ، المجلد الثانى، دار المعارف، القاهرة د.ت.
2. أبو بكر ابن باجه: التعليق على إيساغوجى، تحقيق ماجد فخرى، بيروت 1994م.
3. أبو حيان التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942م.
4. أبو حيان التوحيدى: رسالة فى الصداقة والصديق، تحقيق على متولى صلاح، القاهرة 1972م.
5. أبو حيان التوحيدى: أخلاق الوزيرين، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، بيروت 1992م.
6. أبو على الحسن ابن سينا: النجاة فى الحكمة المنطقية والإلهية، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط 1، بيروت1992.

ثانياً: المعاجم والرسائل:

7. جبران مسعود: الرائد (خلق)، ج1، ط 5، بيروت 1986.
8. خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الاجتماعية (3)، بيروت 1995م.
9. د . اذزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، مكتبة سومر، حلب 1987.
10. عبد المنعم الحفنى: المعجم الفلسفى(مادة أخلاق)، ط 1 ، القاهرة 1990م.
11. إبراهيم محمد رشاد: المؤثرات اليونانية فى فكرتى الطبيعة والإنسان،(رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى، 2001م.

ثالثاً: المراجع العربية:

12. إبراهيم رزقانة: حضارات ما قبل التاريخ (حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى (59)، القاهرة د . ت.
13. أحمد أمين سليم: الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح "، دار النهضة العربية، الإسكندرية 1985.
14. برهان الدين دلو: حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادى- الاجتماعى- الثقافى والسياسى)، بيروت 1989م.
15. توفيق سليمان: دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة، جـ1، طـ1 (الشرق الأدنى القديم) "بلاد النهرين/ بلاد الشام"، دمشق 1985.
16. خزعل الماجدى: إنجيل بابل ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.
17. خزعل الماجدى: بخور الآلهة (دراسة فى الطب والسحر والأسطورة والدين)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.
18. خزعل الماجدى: متون سومر (الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1998.
19. خزعل الماجدى: الدين السومرى، سلسلة التراث الروحى للإنسان/2، طـ1، دار الشروق للنشر

والتوزيع، عمان 1998م.
20.خزعل الماجدى: الدين المصرى ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1999.
21.رمضان عبده على: تاريخ مصر القديم، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة، القاهرة 2001م.
22. رمضان عبده على: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته،جـ1 (إيران والعراق)، طـ2، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة، القاهرة 2002م.
23. سليمان حزين: البيئة والإنسان والحضارة فى وادى النيل الأدنى (تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني) ، القاهرة د . ت .
24. طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول، المجلد الثانى، بغداد 1956.
25. طه باقر: مقدمة فى أدب العراق القديم، جامعة بغداد، بغداد 1986.
26. عبد المنعم أبو بكر: العراق القديم (حضارة مصر والشرق القديم)، الألف كتاب الأولى(59)، القاهرة د.ت.
27. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق) الجزء الأول، الطبعة الثالثة، الأنجلو المصرية، القاهرة 1981.
28. عبد الهادى الفؤادى: من عيون الأدب العراقى القديم "الألهيات البابلية"، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد الحادى والثلاثون، بغداد 1975.
29. عبد الهادى الفؤادى: بحث فى الأمثال العراقية(دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقى القديم والمعاصر)-1- مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد التاسع والعشرون،، بغداد 1973م .
30. عبد الهادى الفؤادى: بحث فى الأمثال العراقية(دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقى القديم والمعاصر) - القسم الثانى- ، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد الثلاثون، بغداد 1974م.
31. على الشوك: من روائع الشعر السومرى ، منشورات الجمل ، ألمانيا 1992.
32. فاضل عبد الواحد على: "من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد السادس والعشرون، بغداد 1970م.
33. فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، طـ 2، سينا للنشر، القاهرة 1996م.
34. فاضل عبد الواحد على: سومر أسطورة وملحمة، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 2000م.
35. فراس السواح: دين الإنسان (بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى)، دار علاء الدين، دمشق 1994.
36. فراس السواح: جلجامش– ملحمة الرافدين الخالدة، دار علاء الدين، دمشق 1996 .
37. فراس السواح: الأسطورة والمعنى (دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية)، دار علاء الدين، دمشق 1997 .
38. فؤاد سفر: البيئة الطبيعية القديمة فى العراق، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، المجلد الثلاثون، بغداد 1974.
39. فيصل الوائلى: " ترنيمة إلى عشتار " مجلة الأقلام جـ1 ، بغداد 1964م.
40. فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم(2: ترانيم وأدعية سومرية – أكدية)، مجلة سومر.

مديرية الآثار العامة،الجزء الأول والثانى، المجلد العشرون، بغداد 1964م.
41. فيصل الوائلى: من أدب العراق القديم، مجلة سومر. مديرية الآثار العامة، الجزء الأول والثانى، المجلد الحادى والعشرون، بغداد 1965م.
42. نائل حنون: عقائد ما بعد الموت ، دائرة الشئون الثقافية العامة، بغداد 1986.
43. نبيلة محمد عبد الحليم: معالم العصر التاريخى فى العراق القديم ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1997م.

رابعاً: المراجع المترجمة إلى العربية:

44. أ.إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكرى، القاهرة د.ت .
45. أ.كلينكل– برانـدت: رحلة إلى بابل القديمة، ترجمة زهدى الداوودى، ط 1، دار الجيل، دمشق1984م .
46. ألبرت شوت: ملحمة جلجاميش ، ترجمها عن الألمانية عبد الغفار مكاوى وراجعها عن الأكدية عونى عبد الرؤوف ، سلسلة آفاق عالمية (23) القاهرة 2003م .
47. توركليد جاكبسون وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980.
48. ر.لابات : المعتقدات الدينية فى بلاد وادى الرافدين(مختارات من النصوص البابلية). ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى. جامعة بغداد. كلية الآداب قسم الآثار. بغداد 1988م.
49. س.موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، تعريب السيد يعقوب بكر ومراجعة محمد القصاص، دار الرقى، بيروت 1986.
50. س.هـ. هوك: ديانة بابل وأشور، ترجمة نهاد خياطة، دمشق 1987.
51. ص.ن. كريمر: من ألواح سومر. ترجمة طه باقر، تقديم ومراجعة أحمد فخرى، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجى، القاهرة، 1956م.
52. ل . ديلابورت: بلاد مابين النهرين، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، الألف كتاب الثانى(283)، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997م.
53. هارى ساكز: عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل، الموصل 1979م.
54. هورست كلنغل: حمورابى ملك بابل وعصره، ترجمة غازى شريف ومراجعة على يحيى ، سلسلة المائة كتاب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد 1987م.
55. مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابى وأصل التشريع فى الشرق القديم، ترجمة أسامه سراس، ط2، دار علاء الدين، دمشق 1993م.
56. ول ديورانت: قصة الحضارة (نشأة الحضارة . الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الأول والثانى، ط 2، مكتبة الأسرة، القاهرة 2001م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

57. **Biggs R. D.,"**Ludlul Bel Nemeqi","(in: Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
58. **Biggs R. D.,"**The Babylonian Theodicy "," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.

59. **Biggs.R. D., "**Akkadian Didactic and Wisdom Literature", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
60. **Dhorme. Paul.,** La Religion Assyrio-Babylonienne,Paris 1910.
61. **Lambert. W.,** Babylonian Wisdom Literature. Oxford 1960.
62. **P.Anton Deimel S.I.,** Šumerisches Lexikon, Scripta Pontificii Institutti Biblici I, Romae 1947.
63. **Pfeiffer. Robert H.,"** I will praise the Lord of wisdom", in:Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
64. **Pfeiffer. Robert H.** ,"A pessimistic Dialogue between Master and sarvant"," (in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
65. **Pfeiffer. Robert H.,"** Akkadian Proverbs and Counesls",in:Pritchard,J.B.,Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950..
66. **Speiser E.A.,"** The Case of the Obliging Servant"JCS,VIII(1954).
67. **Stephens F.J.,** "Hymn to Shamsh", in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
68. **Stephens F.J.,** "Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
69. **Stephens F.J.,"**Sumerio Akkadion Hymns and prayers "in: Pritchard,J.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament Princeton University Press , 1950.
70. **Tigy J.H.,** The Evolution of the Gilgamesh Epic, University of Pennsylvania 1982.